

حَضَرَمَوْت

قراءات في النصوص

(التاريخ - الصحافة - المؤلفات)

أ.د. عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي

حضرموت.. قراءات في النصوص

(التاريخ - الصحافة - المؤلفات)

ح مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقـم الإيداع بالهيئـة العامة للكتاب م/ حضرمـوت: 261/ 2020م

عنوان الكتاب: حضرمـوت.. قـراءات في النصـوص (التاريـخ - الصحافـة - المؤلفـات)

تأليف: أ. د. عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي

حجم الكتاب: 17 × 24 سم

الصفحات: 156 ص

الطبعة الأولى

1442هـ - 2021م

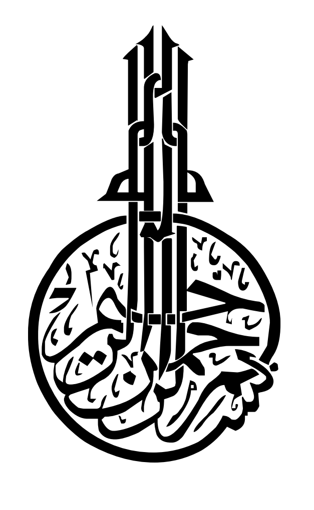


دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتـف وواتس آب: 00201008170225

بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

(التاريخ - الصحافة - المؤلفات)


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يبدو أننا، الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي وأنا، فرسا رهان -ما شاء الله- في مجال كتابة المقالات ثم جمعها بعد ذلك وإصدارها في كتب الواحد تلوَ الآخر.. لعل هذا مدخل مناسب للولوج إلى أجواء المقدمة التي طلب مني صديقي أبو محمد أن أقدم بها كتابه هذا (حضرموت.. قراءات في النصوص)، وأظن أن هذا هو كتابه الثالث من هذا النوع الذي يشمل مقالات في مواضيع متعددة. كان كتابه الأول (أوراق مكّلاوية)، وكان كتابي النثري الأول (قضايا يمنية في الأدب والثقافة)، وهذا هو العنوان الثانوي للكتاب، أما عنوانه الرئيسي فهو (في دروب الإبداع)، ولكنني قصدت المقابلة بين صفتي (المكلاوية) و(اليمنية)، لأعطي إيحاءً بأنهما ترمزان إلى نوع من الارتباط بالمكان سواء أكان مدينة أم وطنًا. وبين مدينة المؤلف، المكلا، وبين الوطن (العام) لكلينا، اليمن، يأتي الوطن (الخاص) لكلينا أيضًا، حضرموت، ليتصدر العنوان في هذا الكتاب، ويرتفع اسم حضرموت عاليًا في هذه "اللحظة الراهنة التي يسعى فيها الحضارمة لتوحيد كلمتهم، وهو ما يؤسس لخطاب المستقبل والدعوة إلى تأسيس البدايات السليمة وتحديد الأولويات". وهذه العبارة التي بين علامتي التنصيص اقتباس من أحد فصول الباب الثالث من هذا الكتاب، وهي نموذج على النظر الموضوعي لدى المؤلف عبدالله الجعيدي الذي، كما عرفته دائمًا، يقف على مسافة واحدة من كل التيارات

والتوجهات السائدة ويترفع فوق صراعاتها فيما بينها وينبذ التعصب والانحياز الأعمى الذي تتسم به غالبًا هذه الصراعات.

* * *

كان الكتاب الثاني للدكتور الجعيدي من هذا النوع متعددِ الموضوعات هو (عابر سبيل)، الذي يبدو وكأنه امتداد أو مواصلة للكتاب الأول، لأنه ينحو نفس المنحى في اختيار المواضيع وفي أسلوب تناولها وهو منحى يمزج بين السيرة الذاتية والهم العام ويقترب كثيرًا من الطابع الأدبي، وأكاد أقول القصصي. وبحكم العلاقة الوثيقة التي تربطني بالدكتور عبدالله، قمت – بناءً على طلبه- بإصدار الطبعة الثانية من كتاب (عابر سبيل) عن دار مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع الخاصة بي، وكتبت له مقدمة سميتها تصديرًا، لأننا أعدنا نشر مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب التي كتبها أستاذنا أ.د. عبدالله حسين البار. أي أن هذه المقدمة التي أكتبها الآن هي الثانية التي أكتبها لأحد كتب المؤلف والمؤرخ عبدالله سعيد الجعيدي، وهذا شرف وثقة أعتز بهما من أخي المؤلف الجعيدي الذي وإن لم يكن قد كتب مقدمة لأحد كتبي، إلا أنه كتب مقالًا، أعتز به أيضًا أيما اعتزاز، عن كتابي النثري الثالث (على طريق الوعي)، ولا يسعني إلا أن أضعه مقدمة للطبعة الثانية من الكتاب إن قدر لها أن تصدر. وهذا المقال الذي كان عنوانه عندما نشر في الفيسبوك وفي الصحافة (نجيب باوزير.. عندما يتكلم الكبار في شؤون الوطن) أتشرف بأن يكون أحد فصول الكتاب الجديد الذي بين أيدينا، ضمن فصول تناول فيها المؤلف الجعيدي عددًا من المؤلفات المعاصرة التي تتناول التاريخ، القديم والحديث، والشأن العام.

وهذه الفصول التي تتناول المؤلفات المعاصرة جعلها المؤلف الجعيدي في الباب الثالث والأخير من الكتاب، الذي يتكون من ثلاثة أبواب فقط. أما الباب الثاني فقد خصصه للحديث عن كاتب واحد فقط، ولذلك جعل عنوانه (في حضرة الصحفي أحمد عوض باوزير)، وضم فيه أربعة فصول عن هذا الصحفي الكبير الرائد كان قد نشرها في مظان أخرى، وإذا استثنينا الفصل الأول من هذا الباب، فإن الفصول الثلاثة الباقية هي في الأصل مقدمات الكتب الثلاثة التي اشتملت تقريبًا على كل كتابات أحمد عوض باوزير الصحفية سواء في الصحف العدنية التي عمل محررًا بها، أو في صحيفته الخاصة (الطليعة) التي أسسها وأصدرها في المكلا- حضرموت، وكان هو رئيس تحريرها. وكل هذه الكتب الثلاثة كان لي شخصيًا شرف الإسهام والمشاركة في الإشراف عليها وإعدادها للنشر بشكل أو بآخر بصفتي ابن أخ الصحفي باوزير ومهتمًا بالشأن الثقافي، وكتبت تصديرًا لأحدها. ولكن الدكتور عبدالله الجعيدي هو الذي تصدى لمهمة كتابة (قراءة) مستفيضة لكل منها، وهذه (القراءات) الثلاث هي التي سيجدها القارئ متاحة أمامه في هذا الكتاب (حضرموت.. قراءات في النصوص).

يتبين مما سبق أن هذا الكتاب الذي عددته الكتاب الثالث للجعيدي من نمط الكتب المتعددة المواضيع، وإن كان يشترك مع الكتابين السابقين في خاصية تعدد المواضيع هذه، إلا أنه يختلف عنها في كونه يتناول بالتحليل والدراسة نصوصًا مكتوبة نشرت أو صدرت في أزمنة مختلفة، وهناك نص ما زال مخطوطًا هو الذي استند إليه في كتابة الفصل الذي عنوانه (ثورة العبيد في حضرموت)، وهو مذكرة الشيخ أحمد

الملاحي التاريخية. والباب الأول الذي لم نذكره حتى الآن عنوانه (القراءات التاريخية). ويقصد المؤلف بالقراءة التاريخية التأمل في حدث أو واقعة تاريخية معينة من خلال بعض المصادر أو النصوص التي تكلمت عن هذه الواقعة أو الحدث. ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول، فبالإضافة إلى الفصل الذي أشرت إليه (ثورة العبيد في حضرموت)، وهو الفصل الثالث، يتكلم الفصل الأول عن البرتغاليين في مصادر القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري، ويقصد المؤلف بهذا العنوان الغزو البرتغالي لسواحل جنوب الجزيرة العربية وبخاصة هجماتهم على موانئ حضرموت. وقد عاد الدكتور الجعيدي إلى ملامسة موضوع الغزو البرتغالي لميناء الشحر من زاوية أخرى في الباب الثالث، عندما تناول كتاب (الشهداء السبعة) للمؤرخ القدير محمد عبدالقادر بامطرف، فهو هنا بالكاد يذكر البرتغاليين، لأن حديثه في هذا الفصل كان منصبًا على مناقشة الاتهام الذي وجه إلى بامطرف حول مدى صحة ما ورد في كتابه، وما إذا كان الكتاب قد كُتب استرضاءً للسلطة (الثورية) القائمة آنذاك في الجنوب. وكتاب (الشهداء السبعة) صدرت طبعته الأولى في العراق في السبعينيات، مع كتابين آخرين لبامطرف هما (في سبيل الحكم) و(المعلم عبدالحق)، وقد اقتنيتها كلها في أثناء وجودي هناك للدراسة.

بقي أن نشير إلى الفصل الثاني من الباب الأول، وهذا الفصل يتناول حادثة تولي أول شخصية وطنية من أبناء حضرموت منصب وزير السلطنة بعد سلسلة من الوزراء -أو السكرتيرين حسب الاصطلاح السابق- المجلوبين من الخارج. والتزامًا بمنهج الكتاب

وهو القراءة من خلال النصوص، حاول المؤلف أن يحلل نصين (مقالين) توجه كاتباهما بالخطاب فيهما إلى الوزير الوطني نفسه، السيد أحمد محمد العطاس، عند تعيينه، المقال الأول كتبه المؤرخ والكاتب السياسي الأستاذ سعيد عوض باوزير- والدي - في صحيفة (الطليعة)، والمقال الثاني كتبه الشاعر والصحفي الأستاذ حسين محمد البار في صحيفته (الرائد). وإذن فإن كل باب من أبواب هذا الكتاب للدكتور الجعيدي لا يخلو من فصل على الأقل يمت لي بصلة بشكل أو بآخر، ولذلك أقول على سبيل الدعابة: لقد حق لصديقي أبي محمد أن يسند إليّ كتابة مقدمة كتابه الجديد هذا ما دام لي فيه أكثر من موطئ قدم، إذا جاز التعبير!

* * *

على الرغم من أن كتاب (حضرموت.. قراءات في النصوص) عبارة عن تجميع لمقالات متفرقة كتبت في فترات مختلفة وسبق أن نشر معظمها أو كلها هنا أو هناك، وهو النهج الذي سرت عليه في تأليف كتبي النثرية الثلاثة حتى الآن، فإن المؤلف، الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي- ها أنا الآن أضع اسمه وصفته الأكاديمية كاملين كما وردا ضمن (عتبات) الكتاب، وهذا من حقه- أقول إن المؤلف وُفق تمامًا، كما أرى، أولًا في اختيار هذه المواد بالذات من بين كتاباته المتعددة، ثم في عملية ترتيبها وتوزيعها بوصفها فصولًا متتابعة ومترابطة ضمن كتاب واحد. وأشرت في مقدمة التقديم إلى مغزى تصدر اسم حضرموت للعنوان، وقد أُتبع الاسم في هذا العنوان الرئيسي بعبارة (قراءات في النصوص) ليعطي القارئ فكرة عن منهج الكتاب.

وتحت هذا العنوان وضع المؤلف ثلاث كلمات تلخص الأبواب الثلاثة للكتاب: التاريخ - الصحافة - المؤلفات.

وقد تدرج عدد الفصول في كل باب، من ثلاثة في الباب الأول، إلى أربعة في الباب الثاني، إلى أن بلغ أحد عشر فصلًا، في الباب الأخير، اختلفت وتفاوتت كثيرًا في حجمها، إذ جاءت في البداية الفصول الأكبر حجمًا، واختُتم الكتاب بفصل قصير جدًا يتناول كتابًا عن مدينة (بروم). وتشهد فصول الكتاب بمختلف مواضيعها على الجهد الدؤوب الذي يقوم به الدكتور عبدالله الجعيدي في البحث والمتابعة والكتابة، مستغلًا (موقعه) المستقل الذي أشرت إليه أيضًا في البداية ومقدرته الكتابية الواضحة، بحيث يبدو وكأنه امتداد طبيعي وجيد لمن سبقه في الجيلين- على الأقل- الماضيين، من الكُتاب والمفكرين والصحفيين والمؤرخين الحضارمة، سواء الذين تركز الاهتمام عليهم في فصول الكتاب أو الذين جاء ذكرهم عرضًا في ثنايا الفصول: سعيد عوض باوزير، وحسين محمد البار، وأحمد عوض باوزير، وحامد أبوبكر المحضار، ومحمد عبدالقادر بامطرف، وصالح على الحامد، ومحمد بن هاشم، ومحمد أحمد الشاطري، وعبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، وغيرهم.

غيل باوزير

١٠ أكتوبر ٢٠٢٠م

أولاً: القراءات التاريخية

البرتغاليون في مصادر القرن السادس عشر الميلادي- العاشر الهجري (قراءة في النصوص)

تمهيد

تعد البرتغال الدولة الأوربية الأولى التي كرّست أكبر قدر من جهودها في البحث عن طريق بحري ملاحي يوصلها إلى الشرق من غير المرور بالخط الملاحي الذي يسيطر عليه العرب.(١) وقد أحدثت حركة الكشوف الجغرافية تغييرات جذرية في الأوضاع القائمة في البحار الشرقية بوجه عام، والسواحل العربية في شبه الجزيرة العربية بشكل خاص، فهي لم تؤدِّ إلى تدهور السيادة الإسلامية على التجارة الدولية ونظمها الاقتصادية فحسب (٢)، بل أحدثت أيضاً تغيرات في موازين القوى العالمية ووضعت أول ركيزة للاستعمار الأوربي في سواحل المحيط الهندي، ومنها السواحل العربية، ووجد العرب أنفسهم يهاجمون من الخلف وأصبحت جزيرتهم و سواحلها الجنوبية على وجه الخصوص في قلب الأحداث الدولية(٣).

* من أبحاث المؤتمر العلمي الثاني التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن العاشر الهجري نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ديسمبر ٢٠١٧م.

وابتداءً من سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) أي بعد خمس سنوات من وصول البرتغاليين إلى الهند نشطت الأعمال العدائية البرتغالية ضد الملاحة العربية في السواحل العربية، والمحيط الهندي، وقد استخدم البرتغاليون أسطولهم المزود بالمدفعية ليس في أعمال القرصنة ضد السفن التجارية العربية في عُرض البحر حسب بل في العمل على إغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج العربي أيضاً، وشجعهم على ذلك عدم تعرضهم لأية مقاومة جادة ضدهم[٤].

هذه الورقة لا تبحث في تفاصيل الهجمات العدائية للبرتغاليين على السواحل العربية الجنوبية وبخاصة موانئ حضرموت بل تحاول قراءة بنية النصوص التاريخية في مصادر القرن العاشر الهجري التي تناولت تاريخ الوجود البرتغالي في المحيط الهندي وموقف القوى الإقليمية والمحلية إزاءه، ومعروف أن هذا القرن تميز بزخم التطورات التاريخية، وبازدهار الكتابة التاريخية الحولية التي تهتم بذكر أهم الأحداث، ووفيات الأعيان، والمصادر التي رجعنا إليها هي: (تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل)مؤلفه أحمد بن عبدالله شنبل، وكتاب: (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) تأليف أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة وكتاب: (تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر) لمؤلفه عبدالله بن محمد باسنجله وكتاب : (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) تأليف محمد بن عمر بافقيه كما اعتمدنا على نصوص من كتاب الربان

سالم بن عوض باسباع الموسوم (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر) تضمنها كتاب محمد عبدالقادر بامطرف: (الشهداء السبعة).

انتهجت هذه المصادر أسلوب الحوليات والتراجم وذلك امتداداً للمدرسة التاريخية الإسلامية. ومما يؤخذ عموماً على كتب الحوليات أنها لا تعطي سوى القليل من المعلومات المعزولة بعضها عن بعض، وعلاوة على ذلك فهي بخيلة في ذكر أسباب الحوادث التاريخية ومن ثم نتائجها، وتجدر الإشارة إلى أن كتب الحوليات والتراجم تتميز عن غيرها من المؤلفات التاريخية بالنقل الحرفي مما سبقها فضلاً عن أن مؤلفيها يزيدون ما يخص الحوادث والتراجم المعاصرة لهم، ورغم عيوب هذا الأسلوب في الكتابة التاريخية إلا أن الموجود منها أسهم في حفظ التاريخ الوطني في وقتٍ كان فيه عرضة للتلف، والضياع لعوامل لا مجال لذكرها.

لم تغفل النصوص في المصادر التاريخية عن ذكر الهجمات البرتغالية على السواحل العربية الجنوبية في سياق تناولها لأحداث هذا القرن بل إن الإشارات الأكثر سخونة في تلك المصادر نجدها عند تعرضها لتاريخ هذه الهجمات على السفن العربية والموانئ والجزر والمضايق الحيوية.

وأقدم إشارة للبرتغاليين وجدناها عند المؤرخ شنبل في حوادث سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م) إذ ذكر: "وفيها ظهر الإفرنج الكفرة في مقددشوه وساح في الهند"(٥)، ويليه بافقيه الذي

أورد أول إشارة له عن البرتغاليين في حوادث سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)[٦] أما بامخرمة فذكر: " أنه في سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣هـ ظهرت مراكب الفرنج في البحر بطريق البحر"[٧] وعلى العموم كانت الإشارات الأولية مقتضبة وخالية من التفاصيل مما يدل على عدم توافر المعلومات عن البرتغاليين،ولهذا لاحظنا إشارات المؤرخ باسنجلة غير قاطعة ففي آخر إفادته عن ظهور البرتغاليين سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م قال: " والله أعلم " [٨] وفي السنة التالية يذكر أن الإفرنج أخذ هرموز صلحًا ويختتم النص أيضًا بجملة (والله أعلم)[٩] وفي حوادث السنة نفسها يورد المؤرخ العيدروس المتأخر في التأليف عن باسنجلة المعلومة نفسها من غير الإشارة إلى (والله اعلم)[١٠] فقد صارت المعلومات في عصره معروفة ويتناقلها الناس.

وقد أطلقت النصوص على البرتغاليين لفظة الفرنج، والفرنجة والإفرنج، ولم ترد لفظة البرتغاليين إلا في كتاب الشهداء السبعة الذي اعتمد على مخطوط معاصر وذلك بتحريف كلمة البرتغاليين (The Portuguese) إلى (البردجيز)[١١]. أما لفظة الإفرنج التي تسيدت النصوص فقد تماهت مع الأدبيات الإسلامية التاريخية المتعلقة بتاريخ الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر وكانت اللفظة الشائعة في المصادر قبل الحملات الصليبية هي لفظة الرومان أو الروم وجاء في الآية الكريمة ((غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ))[١٢] ويقصد بالروم الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) وهم الذين كانوا على تماس مباشر مع المسلمين في جغرافيا متحركة وعبر مراحل متعددة من التاريخ.

ولفظة الإفرنج التي تسللت في الثقافة الإسلامية وصفًا عامًا للأوربيين المسيحيين خاصة بعد الحملات الصليبية على بلدان المشرق العربي فإنها تعطي مؤشرات على ضعف معلومات المؤرخين عما يدور في القارة الأوربية من تشكلات سياسية وظهور دول مركزية قوية بمسميات معروفة.

ويتضح البعد الديني للنصوص عندما ترد لفظة الإفرنج بصور متوازية مع لفظة الكفار وأحيانًا تكتفي النصوص بلفظة الكفرة التي تؤدي الغرض نفسه في دلالته وخاصة عندما تتقابل مع لفظة المسلمين بوصفهما طرفين نقيضين وهذه الثنائية الضدية المحكومة بتاريخ من الصراع الحربي والصدام الحضاري تؤشر إلى ما يمكن وصفه بوحدة العالم الإسلامي وديار الإسلام ويقابلها بلاد الكفار بعموميته الإفرنجية المسيحية أو العالم المسيحي ورغم ضعف الدولة المركزية الإسلامية وغياب شوكتها في مناطق الأطراف فإن الشعور الوجداني بالوحدة الإسلامية أو الأخوة الإسلامية غالبًا ما يتعزز عند ظهور المخاطر والتحديات التي تمس المسلمين في عقيدتهم وأوطانهم، ولعل هذا ما يفسّر تمترس النصوص في توصيف المواجهات بين البرتغاليين وسكان حوض المحيط الهندي من العرب وغير العرب بأنه صراع بين المسلمين والكفار، ولهذا تصف النصوص قتلى المسلمين بالشهداء وصرعى البرتغاليين بالأموات، ويعطي بامخرمة بعدًا خاصًا لكن غير بعيد عن ثنائية المسلمين –الكفار عندما صنف الطرفين بحزب الرحمن ويقصد بهم المسلمين وحزب الشيطان ويقصد البرتغاليين.(١٣)

لكن هذه النصوص وهي تعطي توصيفها العام للمسلمين العرب وغير العرب القاطنين في حوض المحيط الهندي فإنها تشير إلى مصطلح الروم،والأروام، ورومي، ويقصد به الأتراك العثمانيون وهم من القوى الإسلامية الكبرى التي تلقب سلاطينها بخليفة المسلمين، ومع هذا ربما يثير هذا المصطلح بعض الغموض عند الإحالة التاريخية إلى الرومان أو الروم (الإمبراطورية الرومانية) لكن ظهور هذا المصطلح جنبًا إلى جنب مع مصطلح الإفرنج في المصدر الواحد يدل على أن المصطلح الأخير استقر في الثقافة الإسلامية، والذاكرة الجمعية بوصفه مفهومًا يحيل إلى الشعوب الأوربية أو أوروبا الصليبية.

شكل ظهور البرتغاليين على السواحل العربية الجنوبية صدمة كبيرة لسكان هذه السواحل، وتتجلى هذه الصدمة في لغة النصوص التي اعتراها الارتباك والغضب الشديدان لكنها لم تمض على وتيرة واحدة وارتبطت بمدى قسوة الهجمات البرتغالية وبالمسافة التاريخية التي دوّنت فيها هذه الهجمات، وإذا توحدت مشاعر النصوص ضد البرتغاليين فإن المصادر التاريخية تباينت في معلوماتها واختلفت نبرتها بخاصة عند إشاراتها المباشرة أو الضمنية لموقف الحكام المحليين أو موقف الأهالي من هذه الاعتداءات. كما سوف نشير إلى ذلك لاحقا. وعلى أية حال فقد غلب على هذه النصوص الطابع الخبري، وكشفت حالة الفقر العربي في المعلومات عما يجري في القارة الأوربية الناهضة.

وعمومًا انحازت المصادر لهويتها العربية وثقافتها الإسلامية وذلك لما تمثله الهجمات البرتغالية من تهديد محتمل للأماكن المقدسة في الحجاز، وعلى المصالح الاقتصادية لسكان السواحل العربية الجنوبية والقوى الإسلامية الأخرى الذي اهتزت تجارتها البحرية بتغير الخط الملاحي بعد أن تمكن البرتغاليون من الدوران حول أفريقيا. كما أن البرتغاليين لم يحملوا أي فكرة حضارية ولو تمويهية بل نجدهم يمارسون أبشع الأساليب لفرض سيادتهم على تجارة المحيط الهندي على حساب حركة الملاحة الإسلامية.

كما اتسمت هذه النصوص بالروح الانفعالية وعكست حالة الضعف العربي الذي اعتمد في أمنه الخارجي على القوى الإسلامية الرئيسة في مصر والشام بوصفهما كانتا تمثلان الحاجز الاستراتيجي من الهجمات المتوقعة شمالا، وتجلى هذا الضعف في ردود فعل النصوص التي ركنت إلى أسلوب الشتائم عند إشاراتها إلى الاعتداءات البرتغالية على السواحل العربية والإسلامية ولهذا لا تكاد تغادر النصوص مربع اللعنات من قبيل : (خذلهم الله– لعنهم الله– لا صحبهم الله السلامة – فهرب الملعون – أهلكهم الله ... ومن أمثلة النصوص عند بامخرمة: " " وحصل على المسلمين ضرر عظيم في ناحية الهند وهرموز أهلكهم الله"[١٤] وعند باسنجلة : " وقتل من الإفرنج لعنهم الله جماعة فهرب الملعون إلى هرموز"[١٥] وتكررت مثل هذه الألفاظ في المصادر الأخرى. واللافت في كتاب شنبل تركيزه فقط على ثنائية المسلمين والكفرة وربما يعود ذلك لتوقف نصوص مؤلفه عند سنة ٩١٥ هـ/ ١٥١٠م أي قبل أن تشتد هجمات البرتغاليين وتشتهر اعتداءاتهم .

وهكذا عبرت النصوص عن وجهة النظر العربية كما أسلفنا القول ولعله لا مجال هنا في البحث عما يمكن وصفه بالحيادية أو بالموضوعية فمنهجية الكتابة عن طريق الحوليات كما هو معروف تعنى بذكر الحوادث وأحيانًا التعليق العابر عليها وهي مرحلة متسقة مع واقعها ومع الثقافة التقليدية السائدة. كما أنه أمام ديمومة الهجمات البرتغالية التي اتسمت بالقسوة والوحشية يصير من المثالية بمكان البحث عن نصوص في المصادر خالية من الأسلوب القوي أو التعبوي - إن صح التعبير- وهي بهذا عبرت بصدق عن حالة السخط العام بصرف النظر عن النبرة الجامحة التي اتصفت بها.

وإذا أعطينا بعدا آخر لغضب النصوص فإنها في الأصل أعراض صدمة حضارية عند العرب أكثر منها حالة غضب، فالبرتغاليون تقدموا إلى عمق السواحل العربية بنشوة الانتصار على الممالك الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وبتطلعات امتزجت فيها روح الحروب الصليبية مع الأطماع في الاستحواذ على ثروات الشرق. ومما شجعهم على مغامراتهم تحرر الأفكار في أوربا من أغلال العصور الوسطى واستخدامهم الأسلحة النارية غير المعروفة وقتئذ عند سكان السواحل العربية الجنوبية، وأمام هذه الفجوة الحضارية التي كانت في غير صالح العرب عبثت السفن البرتغالية في السواحل العربية الجنوبية وكانت لها اليد الطولى، وبالمقابل زخرت النصوص بذكر عدد الشهداء والمأسورين والسفن المنهوبة وعُمّدت النصوص في ثناياها بالدعاء باللعنات .

ومع هذه الصورة القاتمة إلا أن بعض النصوص قدمت معلومات عرضية عن موقف الحكام المحليين والأهالي من هذه الهجمات البرتغالية، بل وصل الأمر بالبعض

منها إلى تقديم الانتقادات أو السخرية جراء غياب الموقف القوي ضد تلك الهجمات، من ذلك ما ذكره باسنجله في حوادث سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م عندما قال: " ...إن غرابًا من الإفرنج مر ببندر عدن وضرب إليها مدافع ثم تجاوزها إلى باب المندب ومر إلى سواكن ودهلك وصادف جملة خشب وقتل جماعات من المسلمين في الخشب اللي أخذها.. ولم يصده صاد ولا أزعجه مزعج هذا مع أن عدن وزبيد ملآنتان من الأروام وعُدد وغيرها، وهذا شيء عجيب تضرب به الأمثال ويؤرخ في التواريخ ولا حول ولا قوة إلا بالله."(١٦) كما لاحظنا أن المؤرخ باسنجلة ينفرد في نصوصه بذكر ما تصمت عنه المصادر من ذكر المواقف الإيجابية النادرة عند البرتغاليين، فبعد أن ذكر أعمالهم الإجرامية في رمي الحجاج في البحر قال في النص نفسه:" وجماعة افتكوا سالمين"(١٧) ومن جانب آخر يورد إشارة ضمنية انتقد فيها تصرفات العثمانيين لقيامهم بفك سفينتين برتغاليتين مقابل مبلغٍ من المال(١٨).

كما سجلت نصوص المؤرخ بافقيه بعض المواقف الانهزامية لقوات السلطان بدر بوطويرق بخاصة بعد سيطرة البرتغاليين على عدد من السفن الراسية في مدينة الشحر من غير مقاومة تذكر، وعلق على هذه الحادثة بنقد لاذع إذ قال: " ارتجت البلاد ارتجاجًا عظيمًا من فعلهم وحزن المسلمون لذلك وحصلت شناعة عظيمة، ذلك كله ظنًا منهم أن ذلك مما يرضي الإفرنج ومما يتقربون به إليهم ،وهيهات لا الإفرنج راضين عنهم ولا الرومي ولا المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله"(١٩).

أما الحادثة الشهيرة في تاريخ الهجمات البرتغالية على السواحل الحضرمية فهي هجومهم البري المباشر على مدينة الشحر سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م، وتناولت النصوص هذا الحدث الكبير بصيغ متفاوتة وأحيانًا متباينة. ونحن لسنا بصدد الحديث عن تفاصيل الأحداث وحيثياتها، وعلى أية حال فلم ترد أخبار هذه الحادثة عند كل من المؤرخ شنبل والمؤرخ بامخرمة، فالأول توقف مؤلفه عند حوادث سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م أي قبل حاثة الشحر بتسع سنوات ،أما المؤرخ بامخرمة فقد توقفت حولياته في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م.

وهناك مصادر عاصرت أو كانت قريبة عهد بهذه الحادثة من ذلك ما جاء عند باسنجلة في حوادث ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م سجل فيها الآتي: " وفيها يوم الخميس لتسع خلت من ربيع الثاني: توصل تجهيز الإفرنج- لعنهم الله- إلى الشحر نحو أربع عشرة خشبة صغارًا وكبارًا فلما كان صبح يوم الجمعة خرج بعسكره إلى البلاد لعشر خلت من ربيع الثاني ونهبها وحرق فيها وقتل بها الأمير مرجان...وقتل بها الفقيه أحمد بن عبدالله بافضل وأخوه فضل .... وخلق كثير وأسر خلق كثير فممن أسر وافتك في الحال الفقيه أحمد بن عبدالله بالرعية" [٢٠] أما بافقيه فسجل الآتي: " وفي يوم الخميس تاسع ربيع الثاني : وصل الإفرنجي المخذول في نحو تسع خشب ونزل إلى البلد يوم الجمعة وابتدأ القتال بعيد الفجر ولم يثبت له أحد من الناس بل انهزموا انهزامًا قبيحًا واستشهد أمير البلد الأمير المرحوم مطران بن منصور رحمه الله أصابته بندقة من بعيد فسقط مكانه" [٢١]

وفي النور السافر للعيدروس وردت الإشارة كما يأتي:" وفيها استشهد بافضل في معركة الكفار لما دخل الإفرنج الشحر وقتلوا الأمير مطران وغيره وأسروا ونهبوا"(٢٢)

أما المؤرخ باسباع فقد انفرد بذكر تفصيلات المقاومة وقال بأسلوبه العامي:

" هدّت [عاركت] الناس يد واحدة.. كل واحد يشوف دار الثاني داره والعار عاره والخو [الأخ] خوه وإذا شافوا واحد من البردجيز الملاعين حملوا عليهم "(٢٣)

قدمت هذه النصوص قراءات خاصة بأصحابها، فالمؤرخ باسنجلة يؤكد ضمنيًا على انتصار البرتغاليين الساحق. أما العيدروس فقد تبنى رواية باسنجلة مع بعض التخفيف.

أما الروايتان المغايرتان فنجدهما عند بافقيه الذي انتقد الأهالي انتقادًا لاذعًا بينما نجد باسباع الأكثر قربًا من هذه الحادثة يمتدح صمود الأهالي وتكاتفهم، وقد ناقشت بعض الأدبيات التاريخية هذا الأمر ولا يسمح مجال الدراسة بالتعليق أو ترجيح الآراء بيد أن القاسم المشترك بين هذه الروايات اتفاقها على تمكّن البرتغاليين من إحكام سيطرتهم على مدينة الشحر، والدليل على ذلك إشارات النصوص للخراب الذي أحدثوه في مدينة الشحر، لكن هذا لا يلغي تضمين النصوص نفسها لفعل المقاومة والتصدي من خلال ذكرها لأسماء الشهداء من أعيان الشحر ورجالها البارزين ومن عدد القتلى والأسرى، وهذا لا يتم إلا في ظل معارك حقيقية. ولأن ميزان القوى لم يكن في صالح أهالي الشحر المتزودين فقط بالأسلحة البيضاء (العصي والسيوف)، فإن صوت المنتصرين غالبًا ما يسمع بعد انتهاء المعارك بخاصة في نصوصهم الخاصة ، لكن

شجاعة النصوص المحلية في نقل مشاهد الانكسار سيعطيها - لاريب - نوعًا من المصداقية لاسيما عند أولئك الذين يحبذون في استنباطاتهم الإشارة إلى المقولة الشهيرة (وشهد شاهد من أهلها). ومما سيحسب أيضًا لصالح النصوص بحسب الروايات السابقة المتباينة أنه رغم طريقة الحوليات في الكتابة التي تعتمد في النقل الحرفي للمتأخرين عن المتقدمين فإن النصوص تحركت ليس فقط في ظاهر نصوصها بل أيضًا في بعض مضمونها مما أكسبها نوعًا من الحيوية.

بقي أن نختتم بجملة لعلها الخلاصة وهي أن هذه النصوص ربما لم تسعفنا بالمعلومات التي تشبع فضول أهل التاريخ، لكنها ضمنيا ألمحت إلى أن الانكسارات غالبًا ما تكون نصيب الشعوب التي ركنت إلى الجمود، وتركت تيارات التاريخ المتدفقة تتجاوزها.

* * *

الهوامش:

١) أحمد بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة الغزو البرتغالي لسواحل المغرب و البحر الأحمر و الخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة المناهل، السنة (١٠)، العدد(٢٦)، مارس ١٩٨٣، ص٧٧.

٢) فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ١٨٣٩- ١٩١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٣٣.

٣) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج الحديث والمعاصر-الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي ١٥٠٧-١٨٤٠م، المجلد الأول، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٦م، ص٤٦.

٤) نفسه والصفحة نفسها.

٥) أحمد عبد الله شنبل، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط١،١٩٩٤م، ص ٢١٦.

٦) محمد عمر بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ص.٤٦.

٧) أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة، قلادة النحر، المجلد ٣، ص٣٧٢٧.

٨) عبدالله بن محمد باسنجلة، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، ص٣٢.

٩) عبدالله بن محمد باسنجلة، المرجع السابق، ص٣٠.

١٠) عبدالقادر شيخ العيدروس، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٥٨.

١١) محمد عبدالقادر بامطرف، الشهداء السبعة، ص١٠، وفي كتاب (البرق اليماني في الفتح العثماني) لمؤلفه قطب الدين محمد بن حمد النهروالي المكي يطلق على البرتغاليين لفظة (البرتقال) جنبًا إلى جنب مع لفظة الإفرنج.

١٢) القرآن الكريم سورة الروم، الآية ٢-٣.

١٣) أبو محمد الطيب بامخرمة، المرجع السابق، ص ٣٧٣٢.

١٤) نفسه، ص ٣٧٢٧ .

١٥) عبد الله بن محمد باسنجلة، المرجع السابق ص٦٠.

١٦) نفسه، ص ص٦٨-١٦٩.

١٧) نفسه، ص ٥٥.

١٨) نفسه، ص ٩١.

١٩) محمد عمر بافقيه، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

٢٠)عبد الله بن محمد باسنجلة، المرجع السابق، ص٤١.

٢١) محمد عمر بافقيه، المرجع السابق، ص ١٥٧.

٢٢) عبد القادر شيخ العيدروس، المرجع السابق، ص١٢٦.

٢٣) محمد عبد القادر بامطرف، الشهداء السبعة، ص١٠١.

السيد أحمد محمد العطاس:
وزير وطني في السلطنة القعيطية

".. تم ظهر يوم الأربعاء ١٨/ مارس ١٩٦٤م تعيين السيد أحمد محمد العطاس أول وزير وطني للسلطنة القعيطية ". خبر احتل حيزًا مهمًا من صحف حضرموت في ذلك الزمن. كان الحدث "الخبر" ممتلئًا بالآمال ويحمل دلالات ومعاني عميقة ومتنوعة. وحقيقة الأمر لم يكن العطاس الوزير الوطني أو الحضرمي الأول للقعيطيين فقد سبقه في ذلك المنصب أربعة وزراء منهم ثلاثة من أسرة آل المحضار، وهم على التوالي حسين بن حامد المحضار، وأبوبكر بن حسين المحضار، وحامد بن أبوبكر المحضار. . وامتدت فيهم الوزارة إلى سنة ١٩٣٧م مع انقطاع لفترة وجيزة في عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي والسكرتير الرابع "الوزير" سعيد أحمد حدادي، ويمكن أن نعزو النظرة إلى العطاس بوصفه أول وزير وطني أو محلي لأنه جاء بعد ربع قرن من تولي عدد من غير الحضارمة كرسي الوزارة، ثم إنه جاء بعد أن ترسخت مؤسسات الدولة القعيطية وصار للوزير فيها وزنه وتأثيره القوي.

الجدير بالإشارة إلى أن المستشار البريطاني إنجرامس استبدل بلقب منصب الوزير السكرتير ابتداءً من ١٩٣٧م، وكان سعيد حدادي أول من أطلق عليه هذا اللقب

---

* مجلة آفاق أدبية ثقافية فصلية، تصدر عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين حضرموت – المكلا، العدد (٢٧) ٢٠٠٩م.

واستمر هذا اللفظ يطلق على وزير السلطنة القعيطية حتى مايو ١٩٥١م عندما أعيد لقب الوزير في بداية عهد وزارة القدال سعيد القدال.

وكان عهد الوزراء المجلوبين من خارج حضرموت قد بدأ منذ سنة ١٩٣٩م إلى سنة ١٩٦٤م عندما عين إنجرامس أولًا الشيخ سيف بن علي البو علي وهو زنجباري من أصل عماني في هذا المنصب، واستمر فيه إلى سنة ١٩٥٠م باللقب المستحدث سكرتيرًا للسلطنة، وجاء بعده الشيخ القدال سعيد القدال ١٩٥٠ -١٩٥٧م وأخيرًا جهان خان ١٩٥٧-١٩٦٤م.

جاء الوزير الحضرمي الجديد بعد انتظار للحضارمة دام أربع عشرة سنة، وبعد رحيل وزيرين منذ حادثة القصر الشهيرة (١٩٥٠) التي سقط فيها رجال من رعايا السلطنة القعيطية وهم يطالبون بسكرتير محلي من أبناء حضرموت. كان القدال مقبولًا شخصًا مرفوضًا رمزًا.

لقد تقاعد الوزير القدال سنة ١٩٥٧م أي بعد وفاة السلطان صالح القعيطي بما ينيف عن السنة. وربما يطرح سؤال هنا: لماذا لم يبدأ السلطان الجديد عهده بوزير جديد محلي؟ وهو مطلب ظل في الصدور ومنعه الرصاص القديم من الظهور! صحيح أن الوزير جهان خان عُيّن في عهد السلطان صالح، وبتغيير صيغة السؤال: لِمَ لَمْ يستبدل به وزيرًا وطنيًا ويفتح صفحة جديدة بينه وبين رعاياه؟ وهل كان مدركًا أهمية ذلك؟

لا يستطيع الباحثون تجاهل واقع الحال، وهو أن الحاكم الحقيقي في حضرموت وقتئذ هو المستشار البريطاني. وفي هذه المدة كانت السياسة البريطانية تبحث عن مخارج

وأوضاع مريحة تضمن لها البقاء الطويل في الجنوب المحتل، وتحد من المشروع القومي الناصري الذي ملأ الآذان وألهب النيران، فكان مناسبًا أن يكون الوزير من خارج الدائرة الحضرمية، وحادثة القصر قريبة العهد جعلت القرار يمر بصمت.

ولسبع سنوات جثم الوزير الأخير الغريب في حضرموت، وشتان بين عهده وعهد من سبقه، ففي عهده شهدت المنطقة تحولات على جانب كبير من الأهمية، فقد سقط النظام الإمامي في الشمال في ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م، وبعدها اندلعت ثورة ١٤/ أكتوبر ١٩٦٣م التي وصل دويها إلى كل مكان، وأسهمت الصحافة العدنية والحضرمية في إذكاء الشعور الوطني والتطلع نحو الحرية "والعزة العربية"، وإذاعة صوت العرب من القاهرة تهز العروش، وفشلت المشاريع الاستعمارية في ضم حضرموت لاتحاد الجنوب العربي. وتسارعت أوراق اللعبة السياسية في التساقط من أيدي البريطانيين، ولم تعد المحافظة على السلطنات والمشيخات محورًا استراتيجيًا للسياسة البريطانية في المنطقة كما كان منذ زمن قريب. في هذا الجو المشحون والملغم تم تعيين الوزير العطاس.

قوبل هذا التعيين بارتياح شعبي كبير، وقد عبرت كتابات النخبة وقتئذ عن هذا الشعور. وبدورنا سنقدم قراءتين تفاعلت مع الحدث في حينه لكنهما قديمتان جديدتان كتبهما الأستاذان سعيد عوض باوزير، وحسين محمد البار. المقالة الأولى نشرت في صحيفة الطليعة ٢٦/ مارس ١٩٦٤م باسم مستعار هو (عصام)، وتحت عنوان " كلمة إنصاف إلى أول وزير وطني، "والثانية في صحيفة الرائد ٦/ أبريل ١٩٦٤م تحت عنوان " خطاب مفتوح إلى الوزير الجديد".

المقالة الأولى:

سيدي الوزير:

لا داعي إطلاقًا لأن أفتتح حديثي إليك بكلمات المجاملة والإطراء. إنني لا أريد هناأن أجاملك أو أقول لك ولا حتى كلمة ثناء واحدة ولعلك أنت أيضًا لا تنتظر مني شيئًا من هذا القبيل؛ لأنك تعلم أن كلمات المجاملة والمديح يستعملها الصادق والكاذب والمخلص والمخادع فتفقد بذلك قيمتها ويصعب تمييز الزائف منها عن الصحيح، ولذلك فلن أرضاها لك، بل أعتقد أنك لا ترضاها لنفسك؛ لأنها لا تنفع ولا تفيد بل قد تضر في بعض الأحيان. دعنا إذن من المجاملة والمديح واسمح لي أن أهنئك فقط بهذا المنصب الخطيروأن أشفق عليك منه، أهنئك لا لأنك تقلدت أكبر وظيفة في الدولة فتلك نظرة سطحية لا تستهوي إلا أصحاب الأفكار الضيقة، ولكن لأنك أصبحت في مركز يسمح لك بأن تقدم لأمتك ووطنك من المكاسب ما لا يتيحها غيره من المراكز الأخرى. أما إشفاقي عليك فمن ثقل المسؤولية وجسامة التبعة وحكم التاريخ.

سيدي الوزير:

إنه قد يسهل علينا نحن أن نكتب ونكتب حول ما يجب أن يفعله أصحاب المناصب الخطيرة مثلك، ولكن الصعوبة كل الصعوبة تأتي عند محاولة إخراج الكلام المكتوب إلى حيز التنفيذ. إننا نعلم أن هناك فرقًا كبيرًا بين ما نستطيع أن نكتبه نحن

لتخطه المطبعة حروفًا على الورق، وبين ما يمكن أن تفعله أنت مما نطالبك به منك ليصبح حقيقة ماثلة في دنيا الواقع. ولذلك فلسنا نريد أن نطالبك بأن تعمل بنفس السرعة واليسر والسهولة التي تخرج بها المطبعة نتاج أفكارنا وقرائحنا إلى الناس فذلك هو المستحيل. لكن شيئًا واحدًا ينبغي ألا يعزب عن بالك وهو أن تغييرًا ما يجب أن يحدث في هذا البلد على يد وزير وطني من أبنائها نرجو أن يكون أنت، وأن هذا التغيير لا يمكن أن يتم إذا سارت الأمور على الطريقة التي كانت تدار بها الدولة في عهد الوزراء السابقين، طلع السيد الوزير وخرج السيد الوزير وتمر الأعوام بطيئة ثقيلة كالكابوس دون أن يفعل شيئًا حضرة السيد الوزير.

مهمتك صعبة وطريقك شائك ما في ذلك شك ، ولكن المهم أن تكون أنت مقتنعًا بهذا التغيير المطلوب كهدف وطني يهمك أن تحققه. وأن تظل مصممًا على أن لا تترك مركزك للتيار، بل تحاول في صدق أن تعطي هذا المركز شيئًا من القوة يؤثر على التيار تأثيرًا نلمس مداه وندرك به الفرق واضحًا بين وزارة وطني محبوب ووزارة أجنبي مجلوب.

وأرجو يا سيدي الوزير أن تلاحظ أنك مهما بذلت من جهد لتقف وحدك أمام أي تيار معاكس فلن يكون النجاح الذي ستحققه –لو حصل- إلا ضئيلًا باهتًا ولذلك فإن عليك أن تبحث عن قوة تقف إلى جانبك. وهذه القوة يا سيدي الوزير لن تجدها في الكرسي الذي تجلس عليه لأن الملابسات والظروف التي أحاطت بهذا الكرسي في الوقت الحاضر جعلت منه عامل ضعف لا عامل قوة على الأقل بالنسبة للأهداف الوطنية المراد منك تحقيقها.

ولذلك فإن عليك - إذا أردت أن تعمل شيئًا تخلد به ذكرك - أن تستمد القوة من مصدر القوة الوحيد، من أعتى تيار تتضاءل أمامه جميع التيارات، من الشعب هذا هو مفتاح النجاح فاحمله في يدك إذا كنت ترغب في أن يتم على يديك فتح بعض الأبواب المغلقة والطرق المسدودة. إن من حسن الطالع أن تتقلد منصب الوزارة في نفس اليوم الذي بدأت فيه لجنة الدستور تباشر عملها. وستحقق وزارتك أجلّ خدمة للوطن والشعب إذا استطاعت أن تمضي بالدستور إلى غايته وأن تسلم مقاليد الحكم في البلاد إلى أول وزير وطني منتخب من قبل أول مجلس تشريعي منتخب. أعانك الله على ثقل المسؤولية وجسامة التبعة وكلمة التاريخ، وتقبل التهاني المخلصة والتمنيات الطيبة من: (عصام).

[الطليعة، العدد، ٢٤٣، ٢٦/ مارس١٩٦٤م]

المقالة الثانية:

لقد كان حلمًا أن يتربع على كرسي الوزارة أحد أبناء هذه البلاد، يعبر عن رغباتها ويترجم أمانيها ويكابد آلامها ومآسيها ويعمل على تحقيق آمالها وأهدافها. لقد كان الوزير الوطني من أغلى أمانينا الوطنية لأن فيه تعزيزًا لوجودنا وتأكيدًا في حقنا لأن نعيش كما نريد أن نعيش، ولعلك يا سيدي الوزير لم تنس ضريبة الدم التي دفعها هذا

الشعب حينما اندفعت جموعهم الكادحة لتعلن نقمتها وسخطها ولتعبر عن إرادتها في أن يقبض على الزمام أحد أبنائها ليشعر بأحاسيسها ويدرك ملامح مستقبلها .

ولقد عانى الشعب العربي بهذه البلاد الكثير من ويلات المستوزرين من المجلوبين والمستوردين وأعلن في أكثر من مناسبة سخطه وحنقه.

إن تولية الوزارة أحد أبناء هذا الشعب خطوة جبارة على الطريق من أجل تحقيق الأهداف البعيدة وصفحة في السجل الذي نرغب أن يكون ناصع البياض في عهدكم، ولن نقول إن عليكم مسؤولية المسح والتطهير والحذف والنسخ في صفحات هذا السجل لأننا ندرك أنه لاتزر وزارة وزر أخرى ولكن في الوقت نفسه لا نريد أن يمضي بنا الزمن ونحن نهنئكم ونبارك لكم، نشد على أيديكم ونعلن فرحتنا واغتباطنا ونقرض الثناء ونركب متن المجاملة وننسى في دوامة هذه الشكليات مسؤولياتنا، مشاكلنا، تطلعاتنا.

سيدي الوزير:

أنت تعرف جيدًا أن بين يديك تركة مثقلة بالديون،مكبلة بأغلال العجز مرهقة بالتقصير وتدرك جيدًا أنك محاط بالكثير من الجاذبيات الإمبريالية السياسية الأجنبية والمحلية المستغلة ولكننا نقولها لك بصراحة إن عليك أن تتصرف في حدود اختصاصاتك الواسعة وسلطاتك العريضة وأن تجعل من الشعب سندًا لك فإن ما وقع فيه السابقون أنهم كانوا يذوبون وينسحقون أمام هذه الجاذبيات وينسون أن الشعب يتطلع إليهم ويترقب، وأن صلاحيات الحكم والإدارة التي بأيديهم كبيرة وأن عليهم ولو في أضيق الحدود أن يواجهوا العاصفة بشيء من الصلابة والعزم والتصميم يصدون تياراتها

ويردون هجماتها ويمضون بالسفينة إلى شاطئ الأمان، ولكنهم في كل مرة يتقاصرون عن إدراك مهمتهم ويتصورون من خلال تقدير تكتيكي خاطئ أن (هذه التيارات المتحالفة) قد تحول اتجاه السفينة إذا أصر ربانها على السير معتمدًا على جماهير هذا الشعب العريضة ولكنهم أخطأوا حين أسقطوا هذه الجموع الكادحة المكدودة، أخطأوا حين أسقطوا من حسابهم هذه السواعد العاملة صانعة الغد . وارتموا في أحضان هذه الجاذبيات المستغلة والمتحكمة فكفر بهم الشعب وأسقطهم من حسابه بل كان يتمنى بين ليلة وأخرى أن يذهب هؤلاء مع الريح وأن تغرب شمسهم إلى الأبد.

إننا ندرك سلسلة المشاكل التي خلفها (المستوردون) من المستوزرين ونعرف أن أسئلة كثيرة تنتظر الجواب وأن مشاكل لا حدود لها تتفاقم كل يوم في انتظار حل ناجع.

سيدي الوزير:

إن مساوئ عهد الاستيراد الوزاري أنه جعل من الدولة شيئًا مخيفًا رهيبًا يستهزئ بالشعب ويمتهن كرامته ويهزأ بمصالحه ويسخر من أهدافه وتطلعاته، فكانت الدولة في ذلك العهد مصدر إرهاب وتهديد.. وسببًا في خلق هذه العقد النفسية التي تحكم سلوك هذا الشعب وتفسر نظراته إلى الحياة.

ولكننا يا سيادة الوزير لا نريد أن يكون هذا العهد استمرارًا لعهد الاستيراد الوزاري ونهيب بك " مخلصين " أن تركل هذا الكرسي بكلتا قدميك متى شعرت أن جلوسك عليه عبث لا فائدة فيه. إنه عليك أن ترفس هذا الكرسي متى أحسست أنه وسّع الهوة بينك وبين الشعب فإن مساوئ المستوردين أنهم كلما اتسعت دائرة الخلاف بينهم وبين

الشعب تشبثوا بهذه القوائم الخشبية الأربع فرارًا من مواجهة مسؤولياتهم ونزوعًا إلى الجاذبيات المتحكمة المستغلة .إن عليك أن تستند إلى هذا الشعب فهو مصدر هذه السلطات وضمان استمرار أي وضع أو فنائه لا بالمفهوم الخاطئ الذي نتج عن عهد الاستيراد الوزاري حول معنى الدولة الذي لن يدوم إلا بالنزول إلى أوساط هذه الجموع الفقيرة البائسة والتعرف على مشاكلها والأخذ بيدها إلى ما فيه خيرها وسعادتها. أما التمسك بالقوائم الخشبية الأربع والمصادقة من وراء الكواليس والتشبث بالشكليات الإدارية وسياسة اللجان المطاطة فلن يعود على هذه البلاد إلا بالخراب والدمار وستجعل من عهدكم حلقة في سلسلة حلقات عهد الاستيراد الوزاري البغيضة ....

[الرائد/ العدد ١٦٦/ السنة الرابعة/ ٦ ابريل ١٩٦٤م]

التعليق

كان حفل توديع الوزير جهان خان في ٣٠/ مارس ١٩٦٤م بمعنى أن مقالة باوزير أسرع في التجاوب مع الحدث بل ظهرت في وقت كان الوزير المتقاعد لايزال في المكلا. أما البار فقد جاءت كتابته وقد غادر الوزير المكلا، لهذا كانت مقالة باوزير أقرب إلى التعقل والحياء في حين اتسمت مقالة البار بالحماس والحدة، ويبدو أن تأخر البار عن النشر جاء امتثالًا للسلوك الذي يفضل عدم مقابلة المؤمن بما يكره.

ولعل من المناسب ونحن نتكلم عن النخبة أن نستطلع بصورة سريعة وجهة نظر فرد من نخبة الحكم الأقوياء وقتئذ وهو بدر الكسادي الذي كان يشغل منصب نائب لواء المكلا. ففي حفلة توديع الوزير الأخير وجه في كلمته حديثه إلى الوزير الجديد ومما قاله :(نرحب به وزيرًا وطنيًا يطوي صفحة الوزراء المجلوبين من الخارج)..(تنظيم جهاز الحكم بعناصر مخلصة)..(الإيمان بأبناء هذه البلاد) ..الخ. في العهد الثوري اللاحق قتل هذا الرجل مع كثير نظنهم قتلوا ظلمًا، كانت روح الثورة البيضاء في حضرموت أكبر من روح بعض أبنائها من الثوار، ويستحق هذا الأمر تعليقًا ولكن ليس هذا مكانه.

ونعود مرة أخرى لقراءة مقالتَي الكاتبين القديرين، اللتين حملتا روحًا واحدة بأنفاس متعددة، وعبرتا عن هموم الوطن وتطلعاته، ولم ينجرف الكاتبان في إسباغ كلمات المدح للوزير الجديد أو يتلفظا بالتهنئة بل نأيا بنفسيهما عن ذلك وعدّا المنصب الجديد مسؤولية كبيرة، وأكثر من مجرد منصب يستحق التهنئة والمباركة، بل نجد أن باوزير أعطى بعدًا آخر للتهنئة عندما هنأه بالفرصة التي تهيأت له للتغيير وليس التهنئة على المنصب وهي هنا تهنئة مغلفة بالضغوط.

وقد استبشر الكاتبان بالحاضر القريب، وفي حين ركز باوزير على المستقبل كان الماضي القريب غريمًا للبار بامتياز، فلم ينس البار تذكير الوزير أن منصبه هو حصاد الدماء التي أريقت، ملمحًا في ذلك إلى حادثة القصر الشهيرة ديسمبر عام ١٩٥٠م. وكان أفق المؤرخ الذي يحمله باوزير حاضرًا في كلمته فقد سعى لجر الوزير إلى تخيل

مربع التاريخ الذي نتحدث عنه الآن، وماذا سيقول عنه؟ لهذا وردت في مقالة باوزير لفظة التاريخ مقرونة بالتحذير والإشفاق في موقعين متباعدين في عبارتين هما: (حكم التاريخ)، و(كلمة التاريخ).

وتكلما عن الكرسي ودورته اللعينة أو المباركة؛ الأولى لمن جلس فيه ولا يستحقه والثانية لمن أعطاه حقه. وظهرت عند البار لفظة الكرسي ثلاث مرات والقوائم الخشبية الأربع ثلاث مرات، وعند باوزير وردت لفظة الكرسي مرتين، وأطلقت عبارة الوزراء المجلوبين من الخارج بمرارة عند الكاتبين وتكررت عند البار في أكثر من موضع.

وكلاهما ركز على الشعب ودوره في تحريك الأحداث والركون إليه لمن يؤمن به وبآماله، ووردت لفظة الشعب عند البار في عبارات متنوعة اثنتي عشرة مرة، لهذا ليس بعيدًا إذا قلنا إن مقال البار كان خطابًا وخطبة أما باوزير فذكر الشعب مرتين وقال: هذا مفتاح النجاح. وأحيانًا يستخدم لفظة (أمتك) (ووطنك). وحفلت المقالتان ببعض النصائح المباشرة وغير المباشرة منها: (التغيير يحتاج إلى قناعات حقيقية في التغيير)... (إنك في المحك إما وزير وطني محبوب أو أجنبي مجلوب)... وحذره البار من سياسة (اللجان المطاطية).

كان النفس القومي الناصري موجودًا والاشتراكية العربية حاضرة ببعض مصطلحاتها مثل (السواعد العاملة)، (الجموع الفقيرة البائسة)، (الجاذبيات المستغلة المتحكمة)، (الإمبريالية)، (جموعهم الكادحة)، (جماهير الشعب العريضة)، (الجموع الكادحة المكدودة)، (الشعب العربي .)..إلخ

كنت قد عزمت عند تخطيطي الأولي لهذه الوريقات أن أكتب عنوانًا فرعيًا هو " خطاب استباقي للمحافظ المنتخب الجديد "، والعنوان مستوحى من هذين المقالين ودفعني إلى ذلك ما يردده بعض كبار المسؤولين بقوة أن عصر انتخاب المحافظين قادم لا محالة فاستبشرت خيرًا وأردت أن أسبق الأحداث وأتبرع بنصائحي علّها تنفع وتذكّر، وعندما أنعمت النظر في المقالين وجدت الكاتبين الكبيرين لم يتركا لي متسعًا من الحديث إن حذفت لفظة الوزير واستبدلت بها لفظة المحافظ، لهذا فإن المقالين قديمان جديدان.

ملحق

قال السلطان عوض:"......لقد اخترنا السيد أحمد العطاس لهذا المنصب المتعدد المسؤوليات لما نعرفه فيه من كفاءة وتقدير للمسؤولية في خدمة وطنه إننا نحب أن نرى في عهده التقدم الدستوري يتحقق، إننا نحب أن يظهر البترول في عهده وتختفي جميع مشاكل هذه البلاد الاقتصادية ويعود المهاجرون من المواطنين إلى بلادهم ليعيشوا كرماء، إننا نحب في عهده كل المشاريع الإصلاحية ذات النفع العام تبرز إلى حيز الوجود إذا وفّر الله سبحانه وتعالى الإمكانيات اللازمة وإننا لواثقون أن كل مايصبو إليه شعبنا الكريم من تقدم واستقرار وسلام سوف يتحقق بفضل جهوده وتعاون أبنائه المخلصين".

وقال النائب بدر الكسادي : " نرحب به كأول وزير وطني يطوي صفحة الوزراء المجلوبين من الخارج هذه الأمنية التي ظلت هدفًا ملحًا لهذا الشعب، وشعب هذه البلاد ينتظر الكثير من السيد الوزير الجديد في مقدمة ذلك الإيمان بأبناء هذه البلاد والتعاون المخلص معهم وتطعيم جهاز الحكم بعناصر مخلصة وكفؤة، والمؤمل من الوزير الجديد أن يضع لمسات حازمة على جهاز الحكومة والتنظيم الإداري لغرض إصلاحها خدمة للمصلحة العامة".

وكان مسك الختام الكلمة الارتجالية التي قالها الوزير الجديد وقد استعرض فيها نواحي الخير في حياة المستر جهان خان وذكر حديثًا رواه لأول مرة جرى بينهما قال له فيه إننا جئنا إلى هنا لنساعدكم فقط ونعود إلى بلادنا وقال عنه لا يحب أن يصل الأذى عن طريقه إلى أحد وانتهت الحفلة الساعة الخامسة والنصف وأخذت لها عدة صور.

(الأحد ٢٩ مارس ١٩٦٤م).[صحيفة الرائد، العدد،١٦٥، السنة الرابعة،٣٠ مارس ١٩٦٤م].

ثورة العبيد في حضرموت *

شهدت المجتمعات البشرية المستقرة منذ أزمنة غابرة ظاهرة العبودية التي تعني مما تعني استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان، وهذه العبودية مثلت في بدايتها حالة أرقى مما قبلها عند الجماعات أو القبائل غير المستقرة ،فعندما تدخل هذه الجماعات المتحاربة في صراع لا تعترف بالأسير المحارب، فقانون الصراع وقتئذ إما قاتل أو مقتول، لهذا فالعبودية مرحلة تختلف نسبيًا عن سابقتها وتدل على نوع من الاعتراف بحق الحياة مقابل شل حرية الأفراد، واستغلال طاقاتهم. ولتنظيم العلاقة الطبقية الجديدة وجدت تشريعات وأعراف تنظم العلاقة بين السادة (الأحرار) والعبيد تشتد هذه التشريعات وترتخي وفقًا لمعطيات تاريخية وثقافية وخصوصيات مجتمعية ولكنها تجتمع في جوهرها بأنها إذلال ناس من قبل ناس آخرين.

وشهد مجتمعنا العربي قبل الإسلام وبعده هذه الظاهرة ولكنها منذ العهد الإسلامي الأول اتخذت لها طابعا أقل(إذلالا) وتهيأت لها مجالات رحبة للتلاشي والزوال، ومع هذا ظلت العبودية في بعض المجتمعات الإسلامية بشكل لافت إلى النصف الأخير من القرن الماضي، ولا نريد أن نخوض في العبودية عند المجتمعات الإنسانية الأخرى، أو المقارنة بينها.

* مجلة دوعن، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٠م.

وظلت العبودية في حضرموت قائمة كغيرها من المناطق العربية والإسلامية إلى وقت قريب، وكانت الموانئ الحضرمية البوابة الرئيسة التي استقبلت العبيد. ولشيوع هذه التجارة الظالمة في مدينة المكلا أطلق على منطقة في المكلا القديمة (حافة العبيد) حيث يتم فيها تجميعهم لبيعهم في سوق النخاسة أو (لإعادة تصديرهم) ،ويشير الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي بصورة مثيرة للحزن والشفقة في كتابه المذكرة التاريخية (مخطوط) إلى هذه التجارة البائسة بقوله:

"ولهم سوق خاص يقال له (حافة العبيد) يأتي التجار والدلالون ويسوقون العبيد إلى السوق زمرًا زمرًا كالغنم، مساكين، صباح ومساء....ولكن العبيد إذا انقلبوا إلى بيوت أسيادهم الجدد يتناسون كثيرًا من التعب والآلام عندما يشعرون بحسن المعاملة وحسن أخلاق أسيادهم الحضارمة. لأن الحضارمة لهم أخلاق فاضلة حسنة مع عبيدهم ويسمونهم بأسماء حسنة ولا يكلفونهم ما لا يطيقون بل يولونهم المسؤوليات المحترمة ولا يهينونهم أبدا ويعاونوهم بل قد يخدمونهم بالخصوص إذا طعن أحدهم أو اعتراه مرض فترى سيده يدهن لجسده بالدهن ويغسل ثوبه ويكنس غرفته ويكبس له رجليه".

كانت الاستفادة التقليدية لقسم من هؤلاء العبيد تكون في العمل المنزلي أو العضلي. وبالنسبة للقوى السياسية المتصارعة في حضرموت مثّل هؤلاء العبيد قوة ضاربة لا يستهان بها، وفي متون الكتب التاريخية إشارات لهذا الاستغلال العسكري منذ عهود مبكرة من تاريخ حضرموت الوسيط والحديث، ولكن الإشارات التاريخية

المكثفة نجدها في المؤلفات التي تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين.

ففي بداية هذه المرحلة كان التنافس القعيطي الكثيري على أشده من أجل تأسيس حكمها في حضرموت على حساب بعض القوى اليافعية الكثيرية ذاتها. لان السلطنتين القعيطية والكثيرية اعتمدتا على الأموال المجلوبة من حيدر أباد بالهند فقد تم توظيفها ليس فقط لشراء الأسلحة والمعدات بل لتجنيد الجنود وشراء العبيد والإكثار منهم لأنهم – أي العبيد– لا يشكلون ثقلًا اجتماعيًا ولا خطرًا داهمًا على تطلعات المتنافسين السياسيين ولسهولة تطويعهم. ولدخول القعيطيين حلبة الصراع السياسي في حضرموت بسند قوي من المال والثروة، تمكنوا من تحقيق مكاسب سياسية أوسع مما تحصل عليه الكثيريون.

وتحصل العبيد في السلطنة القعيطية على مكانة لائقة من حيث الاعتماد عليهم في إدارة بعض المناطق والمشاركة والقيادة في المعارك الحربية منذ بداية خطواتهم الطموحة، وعلى الرغم من مكانتهم الاجتماعية المتدنية في السلم التراتبي الحضرمي استطاعوا –لشجاعتهم ووظيفتهم العسكرية والإدارية في المجتمع– أن يتسلقوا من الناحية النظرية والوظيفية إلى تراتبية حملة السلاح من القبائل الحضرمية، وإلى منزلة كبار الساسة في السلطنة.

وفي العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي فرضت السلطات الاستعمارية البريطانية في عدن على الحكام والأمراء المشمولين بالحماية البريطانية وغير المشمولين بها في السواحل الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية توقيع اتفاقيات تحرم تجارة الرقيق. وإذا

كانت تجارة الرقيق العلنية بدأت تختفي في حضرموت منذ ذلك الوقت، إلا أن هذه التجارة استمرت إلى سنة ١٩٤٠م عندما اتخذت إجراءات عملية للقضاء عليها. ويذكر الدكتور صادق مكنون في أطروحته للدكتوراه الموسومة (أثر إنجرامس في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في حضرموت) جوانب من الخطوات التي اتبعتها بريطانيا في هذا المنحى والتي حددها في الآتي:

١- حظر بيع العبيد وشرائهم، وإن أي بيع أو شراء للعبيد بعد الآن يعد غير شرعي

٢- يجب على جميع مالكي العبيد أن يسجلوا عبيدهم عند أقرب من يمثل حكومتي القعيطي والكثيري، وسوف لن يعترف بملكية أي عبد لا يتم تسجيله.

٣- يجب على العبد الذي يرغب في نيل حريته أن يقدم طلبًا إلى أقرب من يمثل حكومتي السلطانين القعيطي والكثيري.

٤- يجب عدم إعادة العبد الذي يفر من سيده، والأرقاء الذين يرغبون في نيل حريتهم يمنحون وثيقة تثبت ذلك ويجب عدم إجبارهم على العودة إلى أسيادهم.

٥- الأسياد الذين يمنحون عبيدهم حريتهم، ثم يرغب هؤلاء العبيد في العمل عند أسيادهم يمنحون وثائق مصدقًا عليها ومسجلة عند أقرب من يمثل السلطانين القعيطي والكثيري.

وقد تمت أكبر عملية تحرير للعبيد عام ١٩٤٠م عندما أعلن السلطان صالح بن غالب القعيطي عتق جميع عبيد الحكومة القعيطية. وجاءت هذه الخطوة القعيطية

المدعومة من المستشار البريطاني إنجرامس تماشيًا مع الخطوات التحديثية لسلطنتي حضرموت بعد توقيعهما معاهدة الاستشارة الشهيرة.

وبهذه الخطوات التدريجية تحرر العبيد المنزليون أو عبيد الأفراد بسلاسة إلا من ظل مرتبطًا بسيده لأسباب عاطفية خاصة،. وكانت المشكلة التي واجهت السلطنة هي عبيدها الذين رفضوا قرار الحرية لأنه أفقدهم مكانتهم الاجتماعية ومصالحهم الراسخة وامتيازاتهم الاقتصادية، وكان القول المأثور في حضرموت عنهم (عبد السلطان سلطان). ولأنهم من حملة السلاح وعبيد من نوع خاص أعلن أكثرهم التمرد على هذا القرار، وقد وصف الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي هذا التمرد (بثورة العبيد) واخترنا هذا الوصف عنوانا لهذه المقالة ولعل شيخنا الملاحي كتب هذه المذكرات في أجواء ثورية تموج بها الساحة العربية عمومًا في العصر(الناصري) ولكن هذا التحرك في حقيقته يعد تمردًا محدودًا أو غضبة آنية كبيرة غير منضبطة.

وقبل هذا التمرد أو الغضب، اجتمع السلطان صالح برؤساء العبيد في قصر المعين بالمكلا وخيرهم بين خيارين، الأول: أن تصرف لهم أرض خصبة في منطقة حجر تبنى مساكن لهم وتقدم المساعدة لحراثة الأرض، والخيار الثاني: أن يسجلوا جنودا رسميين لدى السلطنة برواتب شهرية تلغى الكيلة المعتادة التي تصرف لهم، ولكن العبيد رفضوا الخيارين اللذين لا ثالث لهما وأعلنوا تمردهم على قرار (حريتهم)، ولأن الشيخ أحمد الملاحي شاهد عيان لحيثيات هذا التمرد، ولرغبتنا في التعريف بهذه المخطوطة (المذكرة التاريخية) فسوف نعتمد على روايته فيها مع تدخلات يسيرة. قال الملاحي:

" ولما جاء ميعاد الكيلة رفض السلطان أن يعطيهم إياها، واحتجب السلطان عنهم، وصرف أمرهم إلى (إنجرامس الانجليزي) وحاولوا أن يتصلوا بالسلطان للتفاهم معه فما وجدوا إلى ذلك سبيلًا. فتعصب العبيد كلهم الذين هم بالمكلا والذين هم بالشحر وثاروا على الحكومة وحملوا سلاحهم كلهم. فأما عبيد الشحر فقد تجمعوا في كواتهم المحيطة بالبلد وقفلوا أبواب البلد كلها فخافت الرعايا منهم أن ينهبوا الدكاكين والبيوت لأن العبيد أكثرهم لا يذخرون شيئا من التموين في كواتهم فمن المعلوم بديهيا أن النهب لا محيص منه فكان من الضروري أن يقفل السوق وتقفل الدكاكين فهرول الناس إلى الدكاكين ليشتروا لهم كل ما يحتاجون إليه في مدة هذه الثورة والمقاومة وملأوا الزيار ماء فبلغ ثمن التنكة الواحدة من الماء أربع آنه في ذلك الوقت ومن قبل كان ثمنها نصف آنه، والآنه عبارة عن عشرة سنوت.

فأما عبيد المكلا فقيل إنهم هجموا على المالية وطردوا الحرس من العسكر واستولوا على المالية. وأما عبيد الشحر فلم يحسنوا الرأي لأنهم أقفلوا الحصن المحتوي على جميع الدوائر والمكاتب بما فيها المالية والأسلحة والذخائر بعد ما كان تحت أيديهم وتحت حراستهم، وتركوا أيضا الجمرك بالسيف [الساحل] وكان به رز كثير، وذرة، وسمن، وتمر، وغير ذلك تركوا هذا كله وانحصروا في كواتهم التي تحيط المدينة مع السور. فجاء العسكر من بني سعد اليافعيين واستولوا على الحصن وتركوا العبيد قابعين في كواتهم بعيدين من الحصن ومن السوق ....ولما رأى العبيد العسكر قد استولوا على الحصن ندموا على تفليتهم[تفويتهم] الحصن من أيديهم وجاءت طائفة من شباب العبيد ورتبوا في

بيت مكارم ضد العسكر ورتبوا أيضا في بيت ناصر جابر النوبي وهو رئيسهم الأكبر ورتبوا أيضا في بيت أحد العبيد ضد العسكر أيضًا، وهذه البيوت الثلاثة محدقة [محيطة] بالحصن الذي فيه العسكر وبات العبيد يحارشون العسكر طول الليل ولما كان ربع الليل الأخير بدأ الضرب من العسكر فرد عليهم العبيد ببنادقهم من كل جهة من البيوت الثلاثة والذين هم في الأكوات يضربون في الفضاء نحو الحصن لأن البيوت كانت حائلة بين الحصن والأكوات. واستمر الضرب بين الفريقين نحو ربع ساعة فقط ثم وقف الضرب دون ضرر لأحد الفريقين، ولكنهم خوفوا الرعايا وزعلوا[اذهبوا] منهم النوم. وجاء وقت الفجر فصلى أكثر الناس متأخرين وبقيت المدينة مقفلة ثاني يوم لا داخل إليها ولا خارج ولما آن غروب الشمس جاءت سيارة من المكلا ومعهم أوامر من السلطان، وبعد المفاهمة فتح لهم العبيد باب المدينة(وهو سدة العيدروس)ودخلوا بسياراتهم حتى دخلوا الحصن فاستقبلهم نائب الشحر محمد محفوظ النقيب الكسادي بالترحيب وفتح لهم العسكر الحصن ....وأرسلوا إلى رؤساء العبيد ليحضروا في الحصن للتفاهم حول قضيتهم فحضروا وتحدثوا مع الضباط زمنًا طويلًا ثم خرجوا إلى أصحابهم ....ولما طلعت الشمس فتح النائب للعبيد مخزنًا بالسوق، وقعد فيه أحد الكتبة وما شعرنا إلا بالعبيد مقبلين من كواتهم فرادى ومثنى وثلاث وجماعات مستسلمين أذلاء وكل من أتى منهم إلى المخزن سلم سلاحه إلى الكاتب فلم يزالوا هكذا طول النهار حتى سلموا كلهم السلاح وبقوا عزلًا مثل الحضري بل الحضري عنده سلاح الصميل [العصا]. وقطعت عنهم الكيلة تلك الساعة إلا الأرامل والأيتام

والشيابة والعجائز أجريت لهم المشاهرة فعندئذ تبهدل العبيد وتجنن بعضهم ومات أكثر عقالهم أسفًا وحزنًا وسافر أكثر الشباب والبعض اشتغل في الجعالة والنجارة وجرورة الماء والبعض منهم توظفوا بوليس في الجمرك والشرطة المسلحة وغير المسلحة والجندية والبعض تكففوا الناس والبعض توظفوا مراسلين وفراشين وحمالين ونحو ذلك من المهن. وأما أطفالهم بعدما وصلوا سبع سنين التحقوا بالمدرسة الابتدائية واندمجوا مع الشعب........وكان هؤلاء العبيد قبل تحريرهم لا يعلمون أولادهم بل كانوا طغاة جبارين يضربون الرعايا بدون حق ومشهورين بسوء السلوك وارتكاب المناكر والفواحش لأنهم ما قد تعلموا أبدًا قط، وهذا الوصف لا يسري على العبيد كلهم وإنما كان فيهم عقال وحكام لا يعتدون على أحد وفيهم الخيرون الصالحون.....فاعتبروا يا أولي الألباب" ... انتهت رواية الملاحي.

وهذا التمرد أو الغضب الجامح ربما يفتح الشهية للمزيد من التحليل بل سيتعدى ذلك إلى الولوج في عالم العبيد وقصتهم مع العبودية والسلطة في حضرموت. ولا شك أن هذه الغضبة أو الثورة حسب تعبير الملاحي ستتعدد وجهات النظر حولها سيجد فيها البعض تحركًا للعبيد ضد حريتهم، وآخر سيجدها حماية لحقوقهم المكتسبة وثالث سيجدها انقلابًا سياسيًا بحتًا. ولا نعتقد أن للأمر علاقة قوية بالحرية، والهدف الرسمي الأساسي من قرار الحرية خاصة لعبيد السلطنة هو تمكين الإجراءات التحديثية للسلطنة القعيطية في مؤسساتها -كما ذكرنا- وفقًا للسياسة البريطانية المرسومة من قبل المستشار إنجرامس ومباركة السلطان صالح القعيطي لأن العبيد تحولوا مع مرور الزمن إلى

عبء على السلطنة، ويؤكد ما نقوله أن عبيد السلطنة لم يتطلعوا إلى هذه الحرية وما كانوا يفكرون فيها، بل كما لاحظنا تمردوا عليها وعدوها ضربة قاضية لمواقعهم القوية في السلطة والمجتمع.

وكان العبيد في حضرموت من الناحية الواقعية التراتبية أرفع منزلة من وضع العبيد التقليديين، يقول إنجرامس: إنهم في واقع الأمر يمثلون القوة الكبرى الضاربة للسلطنتين، واختلفت المعاملة في السلطنة القعيطية بين العبيد والجنود ولاسيما في المستحقات، فبينما تصرف رواتب شهرية للجنود(القلمة) كان للعبيد ذكورًا كانوا أم إناثًا، كبارًا أم صغارًا، كيلة شهريًا من الذرة كانت تكفيه ويبيع ما يفيض منها ليشتري به سلعًا أخرى،وتصرف السلطنة مصاريف العبيد منذ الولادة وتساعد الأمهات عند الولادة في أثناء النفاس وكذا تدفع مصاريف الختان، وهم بهذا يتمتعون بامتيازات أفضل مما يتحصل عليه الجندي وإذا ميزنا بينهم وبين عبيد المنازل فهم أوفر حظًا وأوسع جاهًا. ولعل هذه الامتيازات تجعلنا نتفهم لماذا رفض العبيد الحرية أو بالأحرى كيف كانت نظرتهم لهذا القرار الخطير في حياتهم الذي قلبها رأسًا على عقب.

وهكذا فان تلك أمة قد خلت لها مال ها وعليها ما عليها. وعبر التاريخ تحرك مفهوم العبودية وتجاوز مسألة الألوان إلى عبودية داخلية يستشعرها العبيد الاختياريون في أنفسهم وفي ذواتهم، وإذا وجدت أنماط من العبودية القهرية في مجتمعات الناس، ففيها أنماط أخرى من العبودية الاختيارية، مثل: عبيد الدينار والمناصب، وعبيد الأهواء والشهوات وكل من باع عناصر الفطرة السليمة في داخله.

وبقي أن نقول لإخواننا العبيد الغاضبين في السلطنة القعيطية في ذلك الحين ربما تراءت لكم مضار الحرية في وقتكم أكبر من منافعها ولكن الحرية التي غمت عليكم في فورة الغضب، وصدمة القرار أهم وأبقى وستظل إلى ما شاء الله قيمة عظيمة لمن يفهمها ويعشقها، وها أنتم تشاهدون بشائرها وأنوارها في أبنائكم وأحفادكم، أما من ارتضى في كل زمان ومكان أن يكون عبدًا برضاه فسيظل عبدًا وإن طالت عمامته، و...

ثانياً:

في حضرة الصحفي
أحمد عوض باوزير

نظرات في تجربة الكتابة التاريخية عند الصحفي أحمد عوض باوزير

غيل باوزير، اسم لمدينة حضرمية ساحلية، يشير شطر اسمها الأول إلى رمز الحياة المتأصل في أعماقها، النابض في شرايينها، والمتدفق على جنباتها، أما شطرها الثاني فيرتبط بالأسرة الوزيرية الشهيرة التي سكنتها ووضعت بصمتها على مساجدها ودور العلم فيها. وكغيرها من الحواضر الحضرمية كان لمدينة غيل باوزير إسهامها الثقافي وعطاؤها الاقتصادي، وساعد توافر المياه فيها والتربة الخصبة على أن تكون حياة الناس المعيشية المعتمدة على الزراعة أكثر حظًا، وأقل جهدًا من حيث نسبة الإنتاج بالمقارنة مع المدن الأخرى في وادي حضرموت وفروعه المعتمدة في حركتها الاقتصادية على الأمطار غير الدائمة.

في هذه المدينة ولد الأستاذ أحمد عوض باوزير وسط أسرة اشتهر أبناؤها بالنشاط الثقافي المتنوع بين الأدب والتاريخ، والتعليم، والرياضة، ولعل الأجدر بالإشارة من بين أفراد هذه الأسرة من حيث طبيعة هذه الأوراق هو المؤرخ والمفكر سعيد عوض باوزير الشقيق الأكبر صاحب الثلاثية التاريخية الشهيرة: (معالم تاريخ الجزيرة العربية)، و(صفحات من التاريخ الحضرمي)، و(الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي). ولسنا هنا

---

* نشر هذا البحث ضمن أبحاث الكتاب التذكاري السنوي لجائزة الشيخ سالم سعيد باحمدان لرواد خدمة المجتمع في حضرموت ٢٠١٢م.

بصدد استعراض هذه المؤلفات وإبراز أهميتها التاريخية، وما نود قوله إن الكتابة التاريخية التي خاض فيها المؤرخ سعيد باوزير باقتدار كانت فعلًا ثقافيًا مورس وسط هذه الأسرة، وأحمد عوض باوزير واحد منها، ولم يكن بدعًا فيها، أو بعيدًا عن أجوائها.

على أن العلاقة الثقافية المميزة التي ربطت بين الشقيقين نجدها عبر صفحات جريدة (الطليعة) التي صدرت عام ١٩٥٩م إلى عام ١٩٦٧م، وكان صاحب الامتياز الصحفي أحمد باوزير، فحدث بينهما ما يمكن وصفه بتبادل الأدوار الثقافية. فبينما انغمس باوزير الأصغر(الصحفي) في صاحبة البلاط يسجل لحظة الحاضر بتفاصيله، كان باوزير الأكبر(المؤرخ) يبحث تارة في حاضر حضرموت وأخرى في ماضيها عن مكانتها اللائقة، ودورها المجيد. ورغم ظاهر تباعد الزمان الذي يبحثان فيه فإنهما يلتقيان في وضوح الأهداف؛ وبين تفاصل الحاضر عند الأصغر، وتداخلات الحاضر والماضي عند الأكبر سعى كل منهما وحلم بحضرموت قادمة أكثر إشراقًا، وأفضل حالًا، وأكثر طمأنينة.

يعد الأستاذ أحمد عوض باوزير قامةً سامقة من قامات حضرموت الثقافية الجليلة العصامية. وهو من حيث المهنة صحفي محترف، لم يدّع في يوم من الأيام أنه مؤرخ، ولن ينقصه شيء إذا قلنا إنه دخل ضيفًا عزيزًا في حقل الكتابة التاريخية، وهذه الحقيقة لا تعني ضعف الباع عنده ولا قلة المتاع إنما دخل تجربة الكتابة التاريخية بعد انتزاعه من صحيفته، وتأميم مطبعته، وتحويله مع معظم زملائه إلى موظفين يمارسون الوظيفة الثقافية، وليس الفعل الثقافي المبدع. وسنستعرض هنا أبرز إسهامات باوزير المباشرة في

الكتابة التاريخية من خلال مؤلفيه (شهداء القصر) و(الشعر الوطني العامي)، وغير المباشرة من خلال مقال له في مجلة الرسالة الصادرة في القاهرة عام ١٩٥٢، فضلاً عن الإشارة إلى دور صحيفة الطليعة في تسجيل حركة المجتمع.

وإذا بدأنا بالمقال الذي نشره في مجلة (الرسالة) بعنوان (مصادر التاريخ الحضرمي) سنلاحظ أنه خطا عتباته الأولى نحو تجربة الكتابة التاريخية من الوجهة الصحيحة، وهو البحث عن المصادر، وفي إشكالياتها، وقد عزا أحمد عوض باوزير مصاعب كتابة تاريخ حضرموت إلى ندرة المصادر، وفقدان الكثير منها، ونبه إلى أهمية التناول الواعي لمحتويات ما وصلنا منها، وعلى أن لا تؤخذ على علاتها. فمعروف أن المصادر هي عماد الكتابة التاريخية، ثم إن هذه المصادر إن وجدت لا تعني احتكارها حقائق التاريخ، فكثير منها لا يخلو من التزييف التاريخي لأسباب ذاتية، أو مناطقية، أو مذهبية، أو بسذاجة وحسن نية كما قال المؤرخ سعيد باوزير في أحد مؤلفاته.

ولعل ابتعاد أحمد باوزير عن الكتابة التاريخية نابع من مشاغله الصحفية من جهة، وإمن إدراكه المبكر لمصاعب الكتابة التاريخية من جهة أخرى، رغم الملكة النقدية التاريخية التي نستشف ملامحها في بعض كلماته، ففي هذا المقال استعرض باوزير بعض المؤلفات التاريخية الحضرمية الحديثة الصادرة وقتئذ لكل من (علوي بن طاهر الحداد) و(صلاح البكري) و(محمد بن هاشم)، وعلق عليها بنظرة ناقدة قائلًا " وأستطيع أن أجزم بأن هذه المؤلفات – على الرغم من حداثتها – لا تخرج عن سرد الحوادث سردًا عامًا دون تعمق أو تصويب".

ثم يؤكد أهمية تحلي المؤرخ بالشجاعة والقدرة على سبر غور الأحداث واستجلاء غموضها، وينتقد منهج المؤرخ محمد بن هاشم في الكتابة التاريخية ويورد عبارته الشهيرة المذكورة في مقدمة كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية) التي جاء فيها: "وبعد فقد ألزمنا أنفسنا في هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه في كتب التاريخ من أخبار القوم، مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد والتحليل والتركيب".

وبأسلوب يمكن وصفه بالمهذب انتقد باوزير هذا المسلك عندما كتب: " ونحن لا نقر السيد بن هاشم وهو الكاتب الأديب على هذا النحو من التفكير. وسواء أكانت المبررات التي زعمها صحيحة أم غير صحيحة فإننا كنا نتوقع أن يعمد إلى (المعول) لنبش الحقائق وغربلتها وأن يبرأ من تلك الشفقة والرحمة لأنها لا تجدي في منطق الوقائع التاريخية ولا تفيد كثيرًا".

وقد قدم الأستاذ أحمد عوض باوزير خدمة جليلة غير مباشرة -إن صح التعبير- للمكتبة التاريخية الحضرمية من خلال إصداره صحيفة (الطليعة)، ورغم المآخذ على الكتابات الصحفية والمحاذير الكثيرة التي يجب أن يضعها الباحث عند الاعتماد على الصحافة والدوريات عمومًا في الكتابة التاريخية، فإن صحيفة (الطليعة) التي استمرت ما يقارب التسع السنوات وثقت مرحلة مهمة من تاريخ حضرموت المعاصر، ومن خلال تصفح أعدادها يستطيع الباحث تتبع مجريات الأحداث التي مرت بها حضرموت، والمنطقة العربية عمومًا، وسيلاحظ أن الصحيفة لم تكتف فقط بنقل الخبر، بل عمدت إلى تثوير الناس ضد السياسة الاستعمارية البريطانية، و سعت إلى تنمية

الوعي الوطني والقومي، وهي بهذا قد أسهمت بشكل أو بآخر في صناعة التاريخ بغض النظر عن مدى قبول الناس لما تضمنته من أفكار ورؤى.

صحيح أن باوزير لم يكن الصحفي الوحيد في هذه الصحيفة، ولكنه صاحب الامتياز، وحامل الرؤية الوطنية الواضحة، والحاضن للأقلام الشابة والمخضرمة التي وجدت في أوراق صحيفته الوعاء الذي استوعب آراءها ورسم تطلعاتها. إن صحيفة (الطليعة) بحق سجل تاريخي (تحت التصنيع) يحتاج لمن يعتني به، ويدونه بعين ذلك العصر، ونبضات روحه، ولعل في هذا السفر مفخرة تكفي باوزير لأن ينال المكانة الرفيعة التي يستحقها.

وإذا تطرقنا لتجربة الكتابة التاريخية عند أحمد عوض باوزير سنجد أنه في عام ١٩٧٨م تقريبًا، نشر كتابيه (شهداء القصر) و (الشعر الوطني العامي)، وفي حد علمنا لم تنشر له بعدهما أي مؤلفات أخرى! ولم يرد ذكر لتاريخ النشر في الكتابين، ومن خلال التاريخ المذيل في مقدمتي الكتابين نستنتج أنه فرغ من كتابه الأول في ٢٧أغسطس ١٩٧٧م والكتاب الثاني في ١٢ فبراير ١٩٧٨م، والإحالة التي وردت في الهامش في كتاب (الشعر الوطني) صفحة (٤٣) تدل على أن كتاب (شهداء القصر) كان مخطوطًا في أثناء كتابته لهذا المؤلف، ويبدو أن وفاة أخيه المؤرخ سعيد باوزير في أكتوبر ١٩٧٨م هو ما دفعه إلى طباعته فقد تضمن الكتاب إهداءً خاصًا إليه.

وكيفما كان الأمر فقد وجدنا من المناسب في البداية استعراض كتاب (الشعر الوطني العامي). وأول ما يلفت النظر في هذا الكتاب عمومية عنوانه، فرغم أنه لا

يتحدث إلا عن الشعر الوطني العامي في حضرموت فلم ترد فيه كلمة حضرموت، ويبدو أن اختفاءها من العنوان الرئيس وفي الصفحة الأولى التي جاء فيها تحت العنوان نفسه (صفحة مشرقة في تاريخ نضالنا السياسي المعاصر) كان مقصودًا، فالمؤلف أراد أن يبعد عن نفسه شبهة المناطقية، وتهمة الحضرمية، في وقت كانت كلمة اليمن تطرح بوصفها مهيمنًا على كل ما هو محلي، ولكن المؤلف وسط هذه العموميات ابتعد عن الإشارة إلى كلمة (اليمني) التي قد تكون في الوسط بين العموم والخصوص، وللأسف فإن هذا المنحى القاصر ما يزال مستمرًا حتى ساعة الناس هذه (٢٠١٢م) مع اختلاف في الأهداف والنوايا باختلاف المراحل.

يثير الكتاب قضية مهمة تتعلق بالعلاقة بين الشعر والكتابة التاريخية، وإلى أي مدى يمكن النظر إليه بوصفه مصدرًا من مصادر التاريخ ،وفي مقدمة الكتاب أشار المؤلف إلى أن الشعر هو:" المصدر التاريخي الوحيد الذي لا يتطرق إليه الشك والذي ينقل لنا صورة العلاقة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة آنذاك" ،ويبدو لنا أنه قصد بـ "لا يتطرق إليه الشك" من حيث صحة الرواية والنقل، وليس بما يحتويه من إشارات قد يجد فيها الباحث التاريخي ضالته، فالشعر شأنه شأن النثر هو كلام البشر الذي يعبرون فيه عن أفكارهم ومشاعرهم ومواقفهم، ويسجلون مشاهداتهم وانطباعاتهم، ومن هنا تكمن مصاعب المؤرخ في التمييز بين الغث والسمين ،وبين صدق الإشارة وشطح العبارة.

جمع الكتاب بين سرد بعض الأحداث التاريخية التي مرت بها سلطنتا حضرموت في المدة من ١٩١٧م-١٩٦٧م، وتعليق الشعراء الشعبيين عليها، وقد طغت المادة التاريخية

والمفسرة للأشعار على صفحات الكتاب، ومع هذا انحاز الكتاب إلى عنوانه من خلال ارتكاز الأحداث التاريخية المتناولة على الأشعار المختارة ودورانها حولها. وورود لفظة الوطني في العام تدل على انحياز الكتاب للشعر المناهض للسلطة القائمة رغم أن المؤلف كان منصفًا عندما سمى الأمور بمسمياتها في معرض وصفه للأعمال العسكرية المناهضة للسلطنتين بقوله: "كانت-الأحداث- قد استهدفت في الغالب قطع الطرق، وترويع الآمنين، ونهب الأموال "، ثم استدرك مراعيًا زمن التأليف، وقال في السياق نفسه : "فإنها أي الأحداث في حقيقة الأمر كانت تعبر عن حالة الرفض لواقع تلك الحكومات التي سعت بمساعدة الأجنبي إلى التوسع وبسط سيطرتها على المناطق الأخرى".

يحتوي الكتاب على بابين هما أقرب إلى الفصول، قسم كل باب إلى مرحلتين: تحدث في المرحلة الأولى عن التمرد القبلي، وفي المرحلة الثانية عن التدخل الأجنبي المباشر في حضرموت. أما (الباب) الثاني فتطرق إلى حركة ابن عبدات وفساد الحكم مع استعراض الأشعار التي قيلت في كل مرحلة.

وأهمية الكتاب القصوى تكمن في كونه وثق للشعر الشعبي المواكب لتاريخ حضرموت المعاصر، وحاول تفسيره، والحكم عليه من وجهة نظر الشعراء الذين وقفوا في الصف المعادي للحكومات المحلية القائمة والمرتبطة مع البريطانيين باتفاقيات حدّت من سيادتهم على دولهم، وهو بهذا يمثل صفحة مفيدة للدراسات التاريخية، وبالمقابل يجب مراعاة أن جانبًا من سيادة المؤلف وقعت كما نظن تحت تأثير النظام القائم وقتئذ الذي عبّر عن توجهه السياسي والاجتماعي.

وإذا لامس باوزير الكتابة التاريخية أو سار على حافتها في كتابه السابق فإن تجربة الكتابة التاريخية الحقيقية نجدها في كتابه (شهداء القصر)، وهو الكتاب الذي يحكي كما جاء ضمن عنوانه في الصفحة الأولى قصة أول انتفاضة شعبية ضد الحكم الإنجلوسلاطيني. ولا سيما بعد أن ترشح لمنصب سكرتير(وزير) السلطنة القعيطية الشيخ القدال (من أصل سوداني) خلفًا للسكرتير سيف بن علي البو علي (من أصل عماني).

وعمومًا عندما يستدعى التاريخ تلبية للحاضر فقط أو لإحياء ذكرى معينة تتحول الكتابة التاريخية من محاولة الكشف الحيادي لحقائقه إلى البحث الموجه برؤى مسبقة. وسنعود لهذه النقطة عندما نقارن بين وجهة نظر كل من باوزير والدكتور محمد القدال في حادثة القصر (قصة) الكتاب.

يعيدنا أحمد عوض باوزير – فيما سطره من إهداء بكلمات مقتضبة- إلى أجواء التاريخ والعلاقة الخاصة بينه وبين أخيه المؤرخ الراحل عندما كتب:

" إلى روح أخي الأكبر (سعيد عوض باوزير) الذي تعلمت منه كيف يكون البحث عن الحقيقة متجردًا متنزهًا عن الأهواء.... إليه أهدي باكورة إنتاجي لعل أن تقر به عينه وهو في دار الخلود".

في هذا الإهداء يؤكد باوزير انتماءه لمدرسة أخيه المؤرخ الراحل التي وصفها بالحيادية والنزاهة، وهي سلوك يعد من أهم مقومات الكتابة التاريخية الجادة، ويبدو أن أحمد باوزير استشعر الفراغ الكبير الذي تركه رحيل أخيه، وتوحي عبارة (باكورة إنتاجي) بالنظرة التفاؤلية، وتؤشر لخطوة البداية، والرغبة في الاستمرار لتعقب البداية بدايات.

قسم باوزير كتابه إلى خمسة أبواب هي أقرب إلى الفصول منها إلى الأبواب. خصص الباب الأول لمدخل تاريخي عن مدينة المكلا والقوى المتنافسة للسيطرة عليها، وفي الباب الثاني تناول بدايات ظهور الوعي الوطني في حضرموت وهو المقدمة الحقيقية لموضوع الكتاب الرئيس في الباب الثالث الذي عنونه : الزحف الجماهيري إلى القصر، وفي الباب الرابع تتبع ردود الفعل الداخلية الإقليمية تجاه حادثة القصر، كما تطرق لمحاكمة المتهمين في أعمال الشغب. أما الباب الخامس الأخير فتضمن شهادات معاصرة لعدد من المعاصرين للحادثة.

وباستثناء الباب الثالث والرابع فإن باوزير لم يأت بجديد بل كان صادقًا مع القارئ عندما استماحه العذر: "إن وجد في الاستعراض المستفيض شيئًا من الملل والتكرار"، وتدل الإحالات في الهوامش المتكررة لمؤلفات أخيه الأكبر على درجة من التأثر بتلك المؤلفات ومؤلفها.

وقد غطت الصحافة العدنية هذه الحادثة، ووجد باوزير ضالته في مادتها، ولا غروَ فهو القريب من عالم الصحافة، المتعلم في أروقتها، وممّا يؤخذ على هذا الفصل عدم اعتماد باوزير على السجلات الرسمية لجلسات محاكمة المتهمين بأعمال الشغب.

في هذه التجربة التاريخية نلاحظ مقاربة ثلاثية تملكت شخصية باوزير تجلت في تحليه بشيء من نفس القاص، وبراعة الصحفي، وحضور المؤرخ، وربما يرى البعض في ذلك عيوبًا وعوائق تخل بالكتابة التاريخية المنهجية، وللإنصاف يقتضي القول إن باوزير وبعد عقود مع الكتابة الصحفية لا يعقل أن يظهر بمظهر مغاير لما تشكل به، ومما يحسب لصالحه أنه أول من دون حادثة القصر، ووصف المؤرخ محمد عبدا لقادر بامطرف مؤلفه في مقدمة هذا الكتاب بالسجل التاريخي القيم.

لسنا هنا بصدد تقييم الكتاب، ولا نحسب أنفسنا ندعي ذلك، وإنما تقتضي القراءة التاريخية النقدية تفسير التاريخ من زوايا نظر متعددة، وهي بهذا تختلف عن الكتابة التاريخية التي تعني إعادة التسجيل الجزئي لأحداثه، ولهذا فإن موضوع الكتاب الذي تناوله باوزير سيظل عرضة للنقاش ما دامت القدرة على التأمل والتفكير موجودة، والمصادر والمعطيات الجديدة متوافرة.

ولأن الدراسة التاريخية هي في جوهرها تكاملية، فقد قدم الدكتور محمد سعيد القدال دراسة تاريخية عن هذه الحادثة برؤية مغايرة، ولكنه دخل مجال الكتابة مطاردًا بشبهة الذاتية، فوالده كان طرفًا أساسيًا فيها. وكان القدال صادقًا عندما استشعر توجسات القارئ لما سيسجله فكتب: "تعرضت حادثة القصر لكثير من التواتر الشفاهي ولقليل من التمحيص والدراسة واكتنفتها مزايدات تاريخية ونوازع ذاتية. ولعل تناولي للحادثة قد لا يخلو من النوازع الذاتية..."

والقدال الذي مال ميلًا لافتًا إلى والده - كما بدا لنا- نظر إلى حادثة القصر بوصفها نوعًا من التدافع الغوغائي من قبل من شبههم بالبروليتاريا الرثة حسب التصنيف الماركسي، وانطلق في جرحه لرواية باوزير من كونها وقعت فريسة لمناخ سبعينيات القرن الماضي الذي نفخ في أشرعتها فانطلقت تمخر دون بوصلة تاريخية.

وعلى العموم إذا كانت رواية باوزير الأقرب إلى الواقعية أصابها شيء من زخم السبعينيات التي توصف بالثورية، فإن رواية القدال المنهجية مسها شيء من القصور

التاريخي وأربكها ثقل ذاتي أو عائلي. وفي رأينا فإن هذه الحادثة تحتاج إلى أكثر من قراءة تأخذ بعين الاعتبار تقدير الروايات السابقة، والاجتهاد في تمحيصها كي تشق القراءات الجديدة طريقها برؤيتها المتجددة وزوايا نظرها المتعددة.

وفي تقديرنا أن نقطة الأساس التي تستوجب الانطلاق منها عند دراسة حادثة القصر تبدأ منذ تولي السلطان صالح القعيطي الحكم وما تلاها مباشرة من استعمار غير مباشر لحضرموت عبر بوابة معاهدة الاستشارة (١٩٣٧م) المثيرة للجدل التاريخي؛ فقد شهدت هذه الفترة إلى بداية الخمسينيات من القرن الماضي إرهاصات الحراك الوطني المناهض للوجود الاستعماري في حضرموت الذي تكلل بهذه الحادثة الشهيرة.

من هنا نجد أن المدخل لفهم أسباب حادثة القصر يأتي من تتبع السياسة الاستعمارية في حضرموت، ومن أبرز مظاهرها تعمد المستشارين البريطانيين إبعاد الحضارمة من الوظائف الرسمية في السلطنة القعيطية. ونستطيع أن نتتبع السخط الشعبي تجاه هذه السياسة في الشعر الشعبي والمقالات التي يرسلها الكتاب الحضارمة إلى مجلة (الرابطة العربية) التي تصدر من القاهرة والصحافة العدنية وكذا المظاهرات والتحركات قبل الحادثة، وإذا ربطنا ذلك بأثر حركة ابن عبدات في الغرفة والمقاومة الحمومية للسلطنة القعيطية فإن هذا سيقربنا من الإجابة عن التساؤلات الكثيرة التي من حقها أن تتناثر هنا وهناك من قبيل: لماذا حادثة القصر؟ وما هو حجمها الحقيقي؟ ومن أين بدأت؟، ولن يكون منصفًا من تناول هذه الحادثة بعيدًا عن النفسية الحضرمية ومقدرتها في خلق الرأي العام الضاغط بنعومة ولكن بإصرار.

قراءة في افتتاحيات صحيفة (الطليعة) الصادرة في حضرموت (١٩٥٩-١٩٦٧م)

بدأت قصة الصحافة في حضرموت بظهور الصحف الخطية؛ إذ صدرت أول صحيفة خطية أسبوعية في مدينة تريم عام ١٩١٧م باسم (حضرموت) أصدرها الأستاذ شيخ بن عبدالرحمن بن هاشم السقاف، تلتها صحف أخرى مشابهة أهمها صحيفة (التهذيب) التي رأس تحريرها الأديب علي أحمد باكثير، وصحيفة (عكاظ) التي أصدرها الأستاذ عبدالله بن أحمد بن يحيى وكلتاهما أدبية شهرية خطية. وفي مرحلة لاحقة ظهرت محاولات لإصدار صحف خطية ومطبوعة أهمها صحيفة المنبر برئاسة الشيخ محفوظ يسلم بن عبدّه في عام ١٩٣٩م.

ورغم ما تحمله هذه الصحف من رمزية الريادة فإن انتشارها ظل محدودًا، ولم ترسّخ لقاعدة صحفية يُبنى عليها، كما لم يكن لها أثر واضح في تحريك الواقع الاجتماعي والثقافي في حضرموت لأسباب لا مجال لذكرها، أما الصحافة الحضرمية المهجرية فلا نستطيع تصنيفها ضمن الفعل الصحفي الحضرمي الداخلي رغم أن أغلبها صدرت باللغة العربية ورأس تحريرها كتاب حضارمة، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أن تلك الصحف المهجرية رغم تناولها للشأن الحضرمي، فإنها عبرت في جوهرها عن هموم

* نشرت هذه القراءة في كتاب : (الطليعة تقول سلسلة مقالات افتتاحية صحيفة الطليعة الحضرمية ١٩٥٩-١٩٦٧م بقلم الأستاذ أحمد عوض باوزير) ٢٠١٣م.

المهاجرين الحضارمة، وعكست أزمتهم الحضارية في مفارقة العيش في مواطن الهجرة الناهضة بعقلية المجتمع الحضرمي التقليدي. على أنه من الإنصاف القول – بما تحمله ثقافة الهجرة والانتقال من تداخلات – إن أصداء هذه الصحف المهجرية لا بد أن تترك آثارها المرئية وغير المرئية على الواقع الصحفي في حضرموت.

ولخلو حضرموت من الصحافة الحديثة إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية اتجهت أقلام المثقفين والكتاب منهم إلى الصحف العربية لاسيما مجلة (الرابطة العربية) الصادرة في القاهرة، ودبجوا صفحاتها بالمقالات التي تناولت الشأن الحضرمي الداخلي بكل تناقضاته ومستجداته. ودشنت صحيفة (فتاة الجزيرة)الصادرة في عدن عام ١٩٤٠م بداية تاريخ الصحافة العربية في الجنوب المحتل، ثم ظهرت صحف عدنية أخرى مثل: النهضة، والرقيب، والأيام، والقلم العدني، والزمان، والصباح، وغيرها، وغطت بعض هذه الصحف جوانب مما يدور في حضرموت من أحداث وأخبار من خلال المراسلين الرسميين، والكتاب المتطوعين.

وهكذا صارت مدينة عدن المستعمرة مركز الثقل السياسي، والثقافي للجنوب، وأدرك الصحفي أحمد عوض باوزير هذه المكانة، وتلك التحولات، لهذا ولّى وجههُ شطرها، وعمل في صحافتها محررًا وكاتبًا ساعده على ذلك حصوله على دبلوم كلية الصحافة المصرية، وفي هذه المدينة المنفتحة ثقافيًا عزز مؤهلاته بممارسة مهنية تركت بصماتها في حياته الصحفية، ثم رأى أن حضرموت أحق برسالته الصحفية، وبما اكتسبه من خبرات، وبعودته إلى المكلا وإصداره لصحيفة (الطليعة)في مايو ١٩٥٩م بدأت قصة الصحافة المهنية الحديثة في حضرموت.

صدر العدد الأول من صحيفة (الطليعة) في ٢٨مايو ١٩٥٩م، والعدد الأخير في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٧م، ومجموع أعدادها (٤٠٤) عددًا وقد توقفت عن الصدور في عامها الأخير من ٧يناير ١٩٦٧م إلى ١٩ يوليو ١٩٦٧م. وفي مدة صدورها شهدت الصحيفة أحداثًا سياسية كبيرة على كل المستويات. فعلى الصعيد العربي عاصرت ذروة المد القومي العربي بقيادة الرئيس جمال عبدالناصر وانحازت الصحيفة وكتابها إلى هذه الروح الوحدوية العربية التي تشبّع بها شباب ومثقفو تلك المرحلة فكانت صحيفة (الطليعة) صوت أو صدى صوت العرب من المكلا، وكان لرئيس تحريرها مقعد على شرف الاحتفالات بالثورة المصرية. وأسهمت إذاعة صوت العرب من القاهرة في توحيد المشاعر العربية وسهلت الطائرات السفر والتواصل وتقاربت الجغرافية وصارت الآمال العربية العريضة أكبر من القدرات.

وفي هذه المرحلة التي ظهرت فيها صحيفة (الطليعة) كان الاستعمار يطوي صفحته القديمة، وتحررت من وطأته الكثير من الشعوب العربية وغير العربية مدفوعًا في ذلك بقرارات دولية هيأتها التحولات الكبيرة لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي دعت إلى تصفية الاستعمار وحق تقرير المصير للشعوب. لهذا تطلع أبناء الجنوب المحتل للاستقلال، وبضغط هذه المستجدات العربية والدولية، عملت بريطانيا على تغيير سياستها السابقة في المنطقة من سياسة فرق تسد إلى سياسة جمع تسد في إطار تسوية

عامة لمحمياتها في الجنوب تمتص بها المشاعر الوطنية المتنامية، وذلك بإنشاء (اتحاد إمارات الجنوب العربي) في ١١ فبراير ١٩٥٩م بهدف التحايل لإعادة ترتيب وجودها ومصالحها في المنطقة.

وبعد نجاح ثورة اليمن في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م التي أطاحت بنظام الأئمة العتيق وإعلان قيام الجمهورية العربية اليمنية بحماية ورعاية من الجمهورية العربية المتحدة اضطرب وضع البريطانيين في المنطقة واضطرت بريطانيا إلى إدخال مستعمرة عدن في هذا الاتحاد وإعادة تسميته إلى (اتحاد الجنوب العربي) في ١٨ يناير ١٩٦٣م. وتجاذبت هذه المستعمرات حضرموت بسلطنتيها القعيطية والكثيرية التي مثلت الثقل الحضاري والثقافي والاقتصادي لهذا الجنوب المحتل وجرت محاولات لانضمامها لهذا الاتحاد، وغيرها من المشاريع الاستعمارية.

واهتزت الأوضاع في الجنوب باندلاع ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م ولاحت في الآفاق نذر التغيير القادمة على المنطقة ونهاية العهد الاستعماري، وقد عاصرت صحيفة (الطليعة) كل هذه الأحداث وغيرها، وتأثرت بروح عصرها الثوري، والتطلعات الوطنية للشعوب وآمالها العريضة في الوحدة العربية والحرية، وسجلت وهي الشاهدة على ذلك العصر موقفها من أهم القضايا الوطنية بوضوح، وبلا مواربة بحسب إيقاعات زمانها، ومجرياته.

استعرنا هذا العنوان من صحيفة (الطليعة) وهو في الأصل عنوان افتتاحيتها الرئيس، ويليه عنوان فرعي للموضوع المتناول لكل عمود، ورغم ما يشي به عنوان الافتتاحية الرسمي أو الثابت (الطليعة تقول) من دلالة تعبر عن الرأي العام للصحيفة فإن رئيس التحرير أحمد عوض باوزير حرص على كتابة اسمه في نهاية كل مقال داخل هذا العمود وخلق بذلك ثنائية متداخلة بين الصحيفة ورسالتها، وبين الصحفي باوزير صاحب الامتياز والحامل للواء الرسالة.

وهذه الافتتاحية اللافتة استمر عمودها المتحرك في الصفحة الأولى - وفي حالات نادرة في الصفحة الأخيرة - حتى توقفها عن الصدور، وكان يختفي هذا العمود أحيانًا لأسباب يمكننا تفسيرها أو استنتاجها من الصحيفة ذاتها كأن نجد باوزير يفرد مقالًا مطولاً عن قضية معينة يرى أن العمود بإشارته المقتضبة لا يتسع لها، أو عند إجرائه مقابلة مع أحد الشخصيات السياسية الاعتبارية أو لسفره أو لأسباب غير معروفة، ومع هذا فإن العمود الافتتاحي عكس موقف الصحيفة من أحداث المجتمع ومشكلاته المترحلة والمتحركة، ووجد أحمد باوزير فيه المكان المناسب في التعبير عن رأيه بكل حرية وشجاعة وفي الإفصاح عن مواقفه مما يعتمل ويمور في حضرموت، ومحيطها الإقليمي والدولي، ورغم الروح القوية العربية الغامرة التي ميزت تلك المقالات فإن الشأن المحلي الحضرمي كان حاضرًا واحتل موقع الصدارة، و استفاد من عموده الأسبوعي أيما استفادة،

بمهنية عالية، ومتابعات ذكية. وقام فيه ناصحًا، ومنبهًا، ومنورًا، ومثورًا عن إيمان مخلص بالقضايا التي يطرحها.

وقد اتخذ العمود موقفه الواضح المعادي للاستعمار وأعوانه والموالي لحركات التحرر العربية وبلدان العالم الثالث أو النامي، وتماهى هذا الخط مع التأييد الجارف للثورة المصرية وزعيمها جمال عبدالناصر، وكانت النظرة للكيانات السياسية العربية تقوم على اعتبار أنها نتاج لأوضاع شاذة ومصطنعة من قبل الاستعمار، وأن مآلها الحقيقي سيكون ضمن الدائرة العربية الواحدة. ولم ير في الدعوة للوحدة الحضرمية هدفًا أو غاية لذاتها وإنما خطوة أولى نحو الوحدة العربية الشاملة من الخليج الى المحيط. وبكلمات قوية تنم عن هذا المنحى الوحدوي العروبي كتب باوزير: " إن الوحدة سلاحنا وسنشهر هذا السلاح في وجه كل من يعوق سيرنا نحو التحرير الحقيقي والسيادة الحقيقية" [العدد٨/ ٢٣يوليو ١٩٥٩م].

وعبر في صحيفته نيابة عن شعب حضرموت عن الموقف الرافض للدعوة التي أطلقها الرئيس العراقي عبدالكريم قاسم بضم الكويت إلى العراق وقال:" نحن الشعب العربي في حضرموت الذي تربطنا بالشعب العربي في الكويت أقوى العلاقات الروحية وأمتنها ندعو الله أن يحفظ استقلال الكويت"[ع١٠٥/ ٢٩يونيو ١٩٦١م]. وعندما أطيح بعبد الكريم قاسم لم تخف الصحيفة فرحتها وشماتتها بتلك النهاية "…. والله أكبر وعاشت القومية العربية، والله أكبر وعاش شعبنا العربي المجيد والله أكبر والموت للخونة والمارقين والمنحرفين" [ع١٨٨/ ١٤فبراير١٩٦٣م].

وشكل انفصال سوريا عن مصر صدمة كبيرة لكل القوميين العرب، لهذا نلاحظ اختياره لعنوان فرعي (الموت للخونة) وهو عنوان كما يبدو موغل في (الثورية) إن صح التعبير، ومما جاء فيه " ...إن الشعب العربي في سورية لابد أن ينتصر في معركته من أجل العزة والكرامة العربية، أما العملاء والخونة فلن يجدوا بيننا مكانًا والله أكبر والعزة للعرب والموت للخونة والعملاء" [ع١١٩/ ١٥أكتوبر ١٩٦١م]. ولا غرو إذا تفاعل خطاب صحيفة (الطليعة) مع الخطاب القومي العربي، فالمشاعر العربية بوحدة المصير كانت هي السائدة عند معظم مثقفي هذه المرحلة. وفي الذكرى العاشرة للثورة المصرية ورغم الحماس المفرط والعواطف الجياشة نحوها، وفي أوج مجد عبدالناصر كتب باوزير في عموده بروح المثقف الواعي، وبنضج سياسي لافتًا إلى أن الثورة المصرية هي فكرة أكثر منها شخصًا تعلقت به الشعوب العربية [ع١٥٩/ ٢٦يوليو١٩٦٢م].

لقد كان صاحب العمود واعيًا لرسالته الصحفية والدور التاريخي المنوط به ومدركًا لتبعات ما يقوم به، لهذا قال: "...لم نكن هازلين ولا عابثين عندما قلنا في أول عدد من طليعتنا المباركة إن العمل الكبير يتطلب التضحية الكبيرة..... وعدتنا توعية الشعب وتبصير جماهيره العريضة بالحقائق البديهية في حياته الحاضرة والمستقبلية" [ع٣٢/ ٧يناير ١٩٦٠م].

وبهدي التوجه التحرري الواضح تابعت الصحيفة لاسيما عمودها الرئيس الأخبار العربية والقضايا الدولية مثل مقتل المناضل (لوممبا)، وحوادث الثورة الكوبية بقيادة (كاسترو) وغيرها من الأحداث والمستجدات. وخارج هذا العمود

وفي الصحيفة ذاتها وجد باوزير متسعًا لنشر خطابات عبد الناصر وتحليل التطورات السياسية والتغطيات المتنوعة.

وساعد استقرار باوزير مدة من الزمن في مدينة عدن مع وضوح توجهه القومي العربي على تآلفه مع مصطلح الجنوب العربي وقبوله ودمجه في كتاباته السياسية، وكان هذا المصطلح بمقاييس تلك المرحلة يعد طرحًا سياسيًا متقدمًا؛ لأنه أخذ يتأصل في منطقة تتميز بتعدد كياناتها السياسية الصغيرة، وكان مصطلح الجنوب العربي يطلق بوصفه بديلًا مقبولًا عند بعض الوطنيين للتأكيد على عروبة المنطقة بدلًا من المصطلح الاستعماري(عدن ومحمياتها)، وأحيانا يستخدم البريطانيون في مراسلاتهم مصطلح الجنوب العربي؛ لأنهم كانوا يرفضون مطالبات الإمام بتبعية هذه المنطقة لمملكته المتوكلية اليمنية، وبعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢م طغى مصطلح الجنوب اليمني أو جنوب اليمن في معظم البرامج السياسية للحركة الوطنية في الجنوب المحتل، ثم تغلغل داخل عمود صحيفة الطليعة جنبًا إلى جنب مع المصطلح الأول ووفقًا لطبيعة الموضوع المتناول. وحقيقة الأمر فقد اتخذ مصطلح الجنوب العربي مكانه في الأدبيات السياسية في تلك المرحلة بعوامل أخرى ثقافية وجغرافية وسياسية، منها خضوع الكيانات السياسية بشكل مباشر وغير مباشر في الجنوب للمرجعية البريطانية الاستعمارية في مدينة عدن، فضلًا عن تشابه نمط الحياة المعيشية، ووحدة العملة المتداولة، والتداخل الأسري، وغيرها من العوامل التي لا يتسع المجال لذكرها.

وقد وقف باوزير وصحيفته مدافعًا عن أبناء الجنوب العربي وعن حقهم في الحرية والاستقلال. فعندما أصدرت معارف حكومة عدن قانونًا يقضي بمنع قبول غير مواليد عدن بالمدارس الحكومية، رفض هذا القانون وعدّه يعمق انفصال أبناء الوطن الواحد وقال: " إن مواليد عدن أو الحوطة أو عزان أو حضرموت هم مواليد وطن واحد... ولن نقبل التفرقة بين أبناء العرب في أرض العرب" [ع١٠٤/ ٢٢يونيو ١٩٦١م].

وقد ميز باوزير بين قناعاته بوحدة أبناء الجنوب العربي وبين رفضه لأن تكون حضرموت جزءًا من الدولة الاتحادية الفدرالية الجنوبية الموجهة من قبل المستعمرين البريطانيين، وكان العمود مدركًا لمكانة حضرموت في هذا الجنوب عندما قال : " لقد كنا ننظر دائمًا إلى حضرموت بقطاعيها الكثيري والقعيطي كوحدة طبيعية وسياسية واقتصادية واحدة، وكنا نرى لها دورًا قياديًا في هذه المنطقة ينبغي أن تلعبه، وتنهض بمسؤوليته" [ع١٣٣/ ١١يناير ١٩٦٢م] .

وتأكيدًا لعروبة المنطقة فند العمود الخبر الذي جاء في إحدى الصحف العدنية الذي فحواه أن العدني يحتاج إلى فيزا للسفر إلى حضرموت وقال : " لن يكون الحضرمي أو العدني غريبًا في بلد عربي لأن أرض العرب للعرب" [ع١٣٦/ ١فبراير ١٩٦٢م]. وفي إشارة تدل على ثبات موقف هذا العمود ووضوح رؤيته إلى الاتحاد الفدرالي(اتحاد الجنوب العربي) بعد انضمام عدن إليه كتب :" إننا نعلن تمسكنا بقرارات الأمم المتحدة التي تقضي بتصفية القاعدة البريطانية في عدن وإجراء انتخابات حرة لاختيار الممثلين الحقيقيين للشعب ومنحه حق تقرير المصير" [ع٢٥٧/ ٩يوليو ١٩٦٤م]، وهذا الإعلان

ما هو إلا انعكاس لموقف معظم تيارات الحركة الوطنية الرافضة للمشاريع الاستعمارية. ويتضح من هذه النماذج المختارة من هذا العمود مدى الدور الذي أدته صحيفة الطليعة في تشكيل الوعي الوطني، وفي التنبيه لما يخطط في الدوائر الاستعمارية بخلاف إرادة الناس، وتطلعاتهم.

وشغلت قضية الوحدة الحضرمية بين سلطنتي حضرموت ساسة حضرموت ومثقفيها ورجالاتها في النصف الأول من القرن العشرين، واستمرت المناشدات للوحدة بين السلطنتين إلى قبيل سقوطهما عام ١٩٦٧م، ومما دفع إلى إثارة هذه القضية الحيوية وبوتيرة عالية عند الأهالي في حضرموت لاسيما ساستها ومثقفيها دخول شركات النفط إليها منذ سنة ١٩٥٩م، وسجلت صفحات الطليعة قصة الحضارمة مع شركات النفط بكل تفاصيلها ، لأن البترول مثل لهم الأمل في الحياة الكريمة المستقرة في وطنهم بعد أن سُدَّتْ أمامهم كثير من أبواب الهجرة التي تعد من أهم مصادر رزقهم.

وإذا كانت تغطيات الصحيفة التزمت بنشر كل التفاصيل المتاحة بأمانة، بما في ذلك نشر بنود الاتفاقيات المبرمة مع الشركات، فإن عمود (الطليعة) المستطيل الشكل بحث في أبعاد أثر هذه الأخبار على حاضر الناس ومستقبلهم، وربطها بالوحدة الحضرمية، ولهذا وبينما تمضي مفاوضات السلطنتين لاقتسام عائدات النفط وحصتهما في العمالة والتأهيل، اجتهد عمود باوزير في ترتيب الأولويات وتوضيح الصورة على حقيقتها، فتحت عنوان الوحدة أولًا ثم البترول ثانيًا ، قال بما يشبه اليقين : "...الوحدة أولًا ثم البترول ثانيًا ولن يستقيم الحال بغير هذا إطلاقًا" [ع٥/ ٢يوليو ١٩٥٩م] .

كما مارس العمود نوعًا من الضغوطات المباشرة وغير المباشرة على السلاطين لاسيما عندما تتعثر المفاوضات بينهما، أو عندما تغيب قضية الوحدة الحضرمية من جدول المفاوضات نجده يقول وبثقة: " إن الوحدة قادمة في أقرب مما يتصوره الحالمون بالثروة، الطامعون في السيطرة وإنها ستؤول حتمًا للشعب الواحد والوطن الواحد" [ع١١/ ١٣أغسطس١٩٥٩م].

واستمر عمود باوزير صامدًا لا يعرف اليأس لاسيما عندما تم الإفصاح من قبل الكثيريين عن مخاوفهم من الوحدة الحضرمية واحتمال ذوبانهم في الكيان القعيطي الكبير فكتب..: "إن الكيان الكثيري أو الكيان القعيطي وهم زائل وخرافة قديمة وإن شعوب هذه المنطقة لا بد أن تفرض كيانًا واحدًا إلا أن هذا الكيان لن يكون لهذه العائلة الحاكمة أو تلك وإنما سيكون كيان الشعب العربي المتطلع إلى الوحدة والحرية والديمقراطية" [ع١٥٠/ ٢٤مايو١٩٦٢م]، لا ريب أن هذا الطرح الساخر والجريء يحسب لباوزير ضمن ما يحسب له، كما يحسب للسلطنة القعيطية التي غضت الطرف عنه رغم مرارته.

ومع ما يلوح في الأفق من مصاعب ومشاكل تتعلق بالوحدة الحضرمية كانت حضرموت على موعد مع الأمل والانفراج لهذا تزين العمود بعنوان فرعي مبشرًا (إننا على أبواب مستقبل جديد) أشار فيه إلى الاستعدادات اللازمة لمرحلة ما بعد ظهور النفط، وبدافع الآمال الكبيرة وفي سياق قد يبدو للبعض غير متصل مع العنوان الفرعي حرص باوزير على أن يوضح للقارئ أسباب صدور الصحيفة عندما كتب: " ...إن صدور (الطليعة) في هذه الفترة الهامة من تاريخ حضرموت لم يأت اعتباطًا ولا عبثًا إنما

نتيجة للتفاعلات التي توشك أن تبرز في هذه المنطقة. إننا الآن على أبواب مستقبل جديد...."[ع١٥/ ١٠سبتمبر١٩٥٩م] .

وازدحم العمود بمجريات الأحداث في حضرموت، وبالمناشدات المتكررة التي تدعو إلى الإصلاح السياسي، لاسيما المطالبة بإصدار قانون ينظم الحريات العامة، واستماتت من أجل تحقيقها، وعمومًا مثلت الحرية بمفهومها الشامل أولوية قصوى عند باوزير وصحيفته، وكان يرى أن صوت الشعب لن يُسمع إلا بالسماح بتأليف الهيئات والمنظمات لصنع حاضره ومستقبله [ع١٨٣/ ١٠يناير١٩٦٣م] .

ولا يقبل هذا العمود ذو الزاوية القائمة بأنصاف الحلول؛ إذ نجده يطالب بالإصلاح السياسي، ويحذر من التسويف:" ..إن على الحكومة أن تدرك هذه البديهيات وأن تسلّم بها ولسوف تجد نفسها يومًا ما وجهًا لوجه ويومها لن تجد طريقًا آخر أسلم عاقبة وأكثر أمنًا" [ع١٩٣/ ٢٨مارس١٩٦٣م]، ويربط العمود بين شرعية حكومتي حضرموت وإطلاق الحريات العامة ويؤكد بها يشبه التهديد: "وستصل هذه الحكومات آجلًا أو عاجلًا إلى نهاية هذه الطريق لكن الوقت سيكون عند ذاك قد فات وانقضى" [ع٢١٣/ ٢٢أغسطس١٩٦٣م] .

وقد انتهج العمود لنفسه ثوابت التزم بها منها الصراحة في قول الحقيقة ولو كانت مؤلمة للبعض، وخاطبت هذه الصراحة كل مستويات الحكم في السلطنتين. وعندما كان الحديث يدور حول تجديد عقد الوزير (جهان خان) لوزارة حكومة السلطنة القعيطية تصدى العمود لهذه القضية الوطنية، وذكر فيه أسباب الرفض بأنها تتعلق بالمشاعر

الوطنية والتطلعات السياسية، وقال إن إنهاء خدمة الوزير هي بالدرجة الأولى قضية كرامة ظلت مهدرة طوال عهود تأجير رؤساء مجلوبين لهذه الدولة، ثم وجه الخطاب للوزير مباشرة : "...إن أحدًا لا يرغب في تجديد عقد خدمتك فلا يحاول أحد أن يتملقك أو يخدعك" [ع٢٣٧/ ٦فبراير١٩٦٤م]، وبعد حفل وداع الوزير (جهان خان) قال إنه لم يفعل شيئًا لحضرموت يفتخر به، وفي إشارة للمستقبل وفي السياق نفسه وبالصراحة نفسها قال : " ...إننا نفتح قلوبنا للعهد الجديد (الوزير الوطني) لكننا لن نغمض أعيننا لحظة واحدة " [ع٢٤٤/ ٢أبريل١٩٦٤م].

ومن النماذج اللافتة في صراحة العمود تعليقه على استقالة أعضاء من مجلس الدولة القعيطية قبيل إطلاق قانون الحريات العامة، وسجل تلك اللحظة التاريخية بلا مواربة عندما كتب: "....ثم كانت النهاية الطبيعية...الحتمية...وما قيل عن اعتلال الصحة ليس إلا محاولة لتغطية الانسحاب قبل أن يشرق فجر الحريات العامة وحكم الشعب للشعب....وها هي الرؤوس الكبيرة تتهاوى الواحد بعد الآخر ليكون ذلك عبرة للآخرين إذا كانت ما تزال تراودهم أوهام السلطة تحت أقنعة جديدة" [ع٣٠٨/ ١٥يوليو١٩٦٥م] .

ومن الوهلة الأولى تفصح العنوانات الفرعية لهذا العمود (المناضل) عن هوية الصحيفة ورسالتها، فهي أحيانًا تتجاوز وظيفتها في اختزال فكرة المقال وتكاد أن تصير هي المقال ذاته، ويصل بعضها إلى مستوى الشعارات السياسية أو الهتافات الحماسية، أو كانت تسجّل بغرض التنوير، والتحذير، والكثير منها صيغ بأسلوب الأمر، والتساؤلات

التي تحمل مضامين الاستغراب أو الاستهجان أو السخرية، ومهما تعددت هذه الصيغ المعلقة في مكان عالٍ من ذلك العمود فإن من هبط وغاص سيجد النفيس من القول.

ومن أمثلة هذه العنوانات: (لنصنع بأيدينا فجر الكرامة والحرية) (إرادة التغيير أقوى) (أخلوا الطريق أمام الكفاءات) (إطلاق الحريات أولًا) (أين نحن وماذا نريد؟)(الديمقراطية أولًا) (لنفهم جيداً طبيعة هذه المرحلة)(لماذا لا نمنح شعبنا كل الثقة؟) (لنكن حذرين) (لماذا الغموض؟) (هل هي مناورة؟) (لم يمت شهيدنا بن هامل) (نحن في حاجة إلى النقد النزيه) (أيها السماسرة عودوا من حيث أتيتم) (تحركي يا إدارة الأشغال)(امنعوا تكرار هذا الخطأ) (أوقفوا عمليات الغزو الجماعي) (فليكن شعارنا العمل) (الموت للخونة) (لماذا لا ننشئ شركة بترول حضرمية؟) .

أما في أسفل هذا العمود فإن الأمر اختلف بعض الشيء إذ نجد بعض المقالات تختتم بلزمات خطابية حماسية متشابهة تتماهى مع الخطاب الثوري القومي وقتئذ، وربما يستحضر القارئ في مخيلته صاحب العمود قائمًا ومن تحته الحشود، وهو يهتف: (.....والله أكبر وعاش شعبنا المكافح والله أكبر وعاشت وحدتنا الكبرى)(فإن بترول العرب للعرب ولتذهب إسرائيل إلى الجحيم) (والله أكبر والنصر لشعبنا المكافح) (الموت للخونة والعملاء وعاشت جماهيرنا منتصرة متحررة) (والله أكبر والعزة للعرب) (والله أكبر وعاشت القومية العربية).

وكما انحاز العمود للحرية والعروبة وحقوق الشعب انحاز إلى التحديث في المجتمع الحضرمي، وأبدى موقفه المتقدم من الكثير من القضايا مشجعًا ومناديًا ومطالبًا ، من ذلك

دعوته إلى توسيع التعليم للأولاد والبنات، وفتح الكثير من المدارس، وتطوير المناهج. وسجل العمود سعادته بنجاح الطالبات في المرحلة الأولية، بل اختار عنوانًا تشجيعيًا مؤثرًا وهو: (أحنوا الرؤوس للفتاة الحضرمية)، وطالب العمود بإصلاح العادات الاجتماعية البالية وترك مالا يصلح :" فإن الانصياع وراء العادات دون تبصر لابد أن يكلفنا ثمنًا غاليًا" [ع٣/ ١١يونيو١٩٥٩م]، وانتقد نظام الحويف[الحارات] في المدن الحضرمية؛ لأنه يفرق بين أبناء المدينة الواحدة ويخلق الضغائن [ع٦٣/ ٢٥أغسطس١٩٦٠م]، ووقف العمود مع المطالبين بفتح دار للسينما في المكلا وعدها إحدى وسائل التثقيف ووقف جراء ذلك في مواجهة التيار المحافظ الذي رفض هذه الفكرة[ع١٦٥/ ١٣ سبتمبر١٩٦٢م]، ودعا إلى إزالة الفوارق الطبقية وأعطى أولوية للثورة الاجتماعية لأنها كما قال : " هي المنطلق الذي سنبدأ به زحفنا المقدس نحو حياة فاضلة كريمة" [ع٦٩/ ١٣أكتوبر١٩٦٠م] .

وقد حاول العمود الدفع بالمثقفين أو الطليعة الواعية – كما كان يطلق عليهم– إلى الاندماج في حركة المجتمع والسعي لتغييره وتطويره. ويبدو من إشارات العمود أن المثقف في حضرموت ظل لم يبرح مكانه، حتى إنه وصف موقفه "بالصمت المميت"، بل دعا الطليعة الواعية إلى أن تحسم أمرها وتتخلص من سلبياتها [ع١٨٩-٢٠١-- ١٩٦٣م]، ورغم ما يبدو من الإحباط عند صاحب العمود تجاه المثقفين، فإنه رأى أن الشعب لا يمكن أن يجتاز طريقه بعيدًا عن العناصر المفكرة الواعية فيه [ع١٦١/ ٩أغسطس١٩٦٢].

وفي قلب هذا العمود ظلت الثقة بقدرة الشعوب على التغيير، والإيمان بحتمية التطور متلازمتين ثابتتين، ففي مناسبة الذكرى الخامسة لإصدار الصحيفة أكد الاستمرار في خط الصحيفة " القائم على الإيمان بأن التطور مد تاريخي لا يمكن مقاومته" [ع٢٤٨/ ٧مايو ١٩٦٤،] واستمر العمود لا يكل ولا يمل في تأكيد هذه الحركة وترد فيه نماذج كثيرة بصيغ متشابهة نذكر منها : " ..إن التغيير من حولنا يسير بخطى عاجلة وسريعة وعلى الذين لا يؤمنون بحتمية التغيير أن يعتزلوا الدنيا ويعيشوا هناك بعيدًا في ذمة التاريخ" [ع١٤٦/ ١٩أبريل١٩٦٢م]، كما راهنت الصحيفة في مشروعها النهضوي على الثقة بطاقات الشعب وقدرته على تحمل المسؤولية واستقوت به: " وإن الشعوب قد تغفو بعض الوقت لكنها عندما تصحو تندفع في طريقها لا تلوي على شيء" [ع١٥١/ ٣١مايو ١٩٦٢م].

وفعلًا سارت الأمور إلى التغيير السياسي ربما بأوسع مما بشر به العمود فقد شهدت الصحيفة مرحلة سقوط سلطنتي حضرموت وظهور النظام الجمهوري في الجنوب، وقد تابع العمود الصراع والتنافس بين أقطاب الحركة الوطنية(جبهة التحرير، والجبهة القومية)، ومال إلى الثورة ولم يمل إلى جهة بعينها، وكان يقلل أحيانًا من خطورة هذا الصراع تفاؤلًا بالمستقبل، وعندما وجد أن الأوضاع في طريقها إلى التعقيد وانحرافها عن طريق العمل الوطني المخلص، وغلبة الذاتية، ولغة التخوين والإقصاء في صفوف الثوار كتب" إننا نحذر القوى الوطنية من أن يتملكها الصلف والكبرياء فتضل الطريق وتجر على نفسها وعلى البلاد كوارث ومحنًا لا يمكن التكهن بها، فلنتق الله في أنفسنا، وفي وطننا،

وفي الأمانة التي حملناها فنحن زائلون والوطن باقٍ أبدًا"[ع٣٤٥/ ١٣إبريل١٩٦٦م]. وعشية إعلان الاستقلال سجل العمود تلك اللحظة التاريخية الفارقة بتفاؤل كبير يعكس في حقيقته تفاؤل معظم الناس في القادم الجديد الذي طالما بشرت به الصحيفة وأسهمت بحصتها في صنعه، وأكد أن الثورة ستستمر وستقدم للشعب ما يصبو إليه من تقدم ورخاء وازدهار [ع٤٠١/ ٢٩نوفمبر١٩٦٧م].

ولكن الآمال الكبيرة تستحق تضحيات كبيرة كما يتردد في سطور الصحيفة، وقد بدأت تلوح في الآفاق أوضاع ثورية خاصة ربما يتفهم البعض تجاوزاتها، ولكن عندما تسير القافلة بأهداف غير واضحة، وبغلبة المصالح الشخصية على المصالح العامة، وعندما تغيب ثقافة التسامح وتسود ثقافة الانتقام لاشك ستضل القافلة طريقها، وقد نبّه العمود لهذه اللحظة قبل قدومها بما يقارب خمس سنوات عندما جاء فيه: " إن الفوضى في أوسع معانيها ليست سوى أن تسير الأمور في أمة دون دراسة وتخطيط يقوم بها قادة مثقفون مخلصون، وأن يترك المجال للغباوة والخيانة لتلعبا دورهما دون معارضة ولا رقيب ولا حسيب .."[ع١٦١/ ٩أغسطس١٩٦٢م]، وهذه النصيحة العامة التي نوردها هنا ليس بهدف إسقاطها على حكام تلك المرحلة إنما لتوضيح رؤية باوزير إلى أن مسألة توسيد الأمور لغير أهلها في أي مجتمع لن يوصل إلى تحقيق النتائج المرجوة.

ويبدو أن العمود شعر بثقل الوضع الثوري الجديد، وضيق نفسه، ففي العدد الأخير من هذه الصحيفة نستشف شيئًا من ذلك لاسيما في الرسالة التي وجهها إلى محافظ المحافظة، وطالبه فيها بأن لا يقيم بينه وبين أهله أبناء هذه المحافظة حواجز ولا سدودًا، وأن يستمع إلى

شكوى المظلوم منهم ليفوز بالحسنيين في الدارين [ع٤٠٤/ ٢٠ ديسمبر١٩٦٧م]، وكانت هذه آخر كلمات باوزير في عموده الحصين الذي ظل من داخل أسواره يبشر بمجتمع الرخاء والازدهار ومجتمع العدل والكفاية والحرية، ويوجه من خلاله كلماته القوية إلى رموز السلطة قبل انتصار الثورة بكل شجاعة وإيمان. إلى أن صارت صحيفته لا تستطيع الحركة كما كان حالها في حكم السلاطين، لهذا توارت في بدايات العهد الثوري وكانت مفارقة تاريخية مؤلمة عندما قام الثوار أنفسهم بإغلاق هذه الصحيفة التي بصرتهم بنور الحرية، وعلمتهم كيف هي الثورات ومعانيها النبيلة.

عكست هذه الصحيفة صوت الناس، وعبرت عن همومهم، وسجلت آمالهم، كما حملت المشروع الذي تطلعت إليه النخبة الواعية لدورها في بناء المجتمع الجديد المزدهر، والمستقر، والحر. واحتل العمود الافتتاحي للصحيفة مكانة خاصة؛ حيث تابع باوزير بين أضلاعه مجريات الأحداث، وعلق على المهم منها، وتراوحت نبرات كلماته بحسب مقتضيات الأمور، وتقلبات الأحوال مع الالتزام بالخط التحرري التنويري، والثبات في المواقف والابتعاد عن التزلف والنفاق.

وعندما شرعنا في قراءة هذا العمود ظننا بأننا سنكون في غياب صاحبه ضيوفًا عابرين، ولكن اكتشفنا مدى الجهد الذي كان يبذله صاحبه رغم الظروف الصعبة والإمكانات المتواضعة، كما عرفنا عمق الرسالة التي حملها، ومدى إخلاصه للوصول إلى غاياته وأهدافه، ولهذا فإن هذا العمود برسالته الكبيرة كان ضمير الناس النابض.

وقد هدفنا من بين ما هدفنا إليه من نشر هذه المقالات في هذا (الكتاب) إلى: استذكارها واستحضارها والبناء على المفيد منها، وتجنب مثالب عصرها، وهذا هو واقع الحال بالنسبة للقراءات التاريخية. لهذا فإن ما أوردناه في هذه القراءة المستعجلة، والانتقائية لا يمثل بالضرورة المهم أو الخلاصة، وبالتأكيد لن يغني عن العودة إلى أصول المقالات وقراءتها في سياقاتها الكاملة المفيدة والعميقة التي يجب النظر إليها بحسب مقتضيات زمانها، وقد نهجنا في هذه القراءة منهجًا خاصًا وهو البقاء ضيوفًا داخل هذا العمود المتميز بتركيز إشاراته، وقوة مداخلاته..

إن حق أحمد عوض باوزير على (الطليعة الواعية) يكمن في حمل رسالة صحيفته (الطليعة) واستئناف مسيرتها بعقلية جديدة تحافظ على ثوابت المجتمع، وتنفتح على عصرها كعهدها الأول. ذلك أن الصحافة الهادفة هي فكرة أكثر منها شخصًا أو أشخاصًا اجتهدوا وقالوا كلمتهم ثم رحلوا.. لكن الأفكار تبقى حية، ولا تموت.

* * *

قراءة في مقالات أحمد عوض باوزير في الصحافة العدنية

انقضى عامان منذ صدور كتاب رائد الصحافة الحضرمية الحديثة الأستاذ أحمد عوض باوزير الموسوم بـ(الطليعة تقول)- المتضمن سلسلة مقالات عموده الأسبوعي في صحيفة الطليعة ١٩٥٩-١٩٦٧م – حتى صدور هذا الكتاب الذي يضم مجموعة مقالات باوزير في الصحف العدنية (النهضة - الرقيب - الأيام) في المدة من ١٩٥٣-١٩٥٨م. ولهذا الفارق الزمني اليسير بين الإصدارين اعتبارات متعددة، فمن الناحية التاريخية التسلسلية كان الأولى صدور مقالات المرحلة العدنية ليتسنى متابعة حركة الكتابة الصحفية عند باوزير واتجاهاتها منذ بدايتها إلى نهايتها الحقيقية في صحيفة الطليعة، ولكننا أجلّنا فكرة جمع كل المقالات لصعوبة نشر هذه المجموعة في مرحلة الإعداد لمناسبة ذكرى التأبين ولاعتبارات أخرى أشير إلى بعضها في تصدير كتاب (الطليعة تقول) ومقدمته.

وكان مؤملًا صدور هذه المجموعة في الذكرى السنوية الأولى للراحل باوزير (توفي في ٢٨نوفمبر ٢٠١٢) ولكن أحيانًا تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. فإذا عُرف مدى الصعوبة في جمع هذه المقالات تحت ركام ما تبقى من أرشيف تلك الصحف المتخم بعوامل الزمن، وعبث الحشرات ستُلتمس الأعذار، ويُدرك الجهد الشاق الذي بذل كي تخرج هذه المقالات إلى النور في هذا الكتاب.

في هذا المتن لابد من الإشارة إلى الجهود الكبيرة المخلصة التي قام بها الأستاذ أمين سعيد باوزير في حصر هذه المقالات وتصويرها وتسليمها للمهندس الخلوق مراد أحمد باوزير الذي كان هو الآخر له نصيب كبير من الجهد في المتابعة، مع الحرص المعتق بالوفاء لحفظ تراث والده الفكري وإبرازه، ولأننا شرفنا في الإعداد والقراءة التاريخية لكتاب (الطليعة تقول) أُسند إلينا أيضًا شرف العناية بهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ وتقديمه.

ولهذا، وبالاستفادة من هذا الارتباط، تهيأت فرص للولوج إلى عالم باوزير الصحفي بإجراء بعض المقارنات العاجلة في مشواره الصحفي الطويل والثري، وربما في ذلك بعض الفوائد بعد تجاوز قيود المنهج التاريخي. فالقارئ المتابع لن يجد فوارق لافتة في اتجاهات باوزير ومواقفه في مرحلته المبكرة (العدنية) عنها في مرحلة (حضرموت) باستثناء تفاوت في وتيرة التفاعلات، ومرونة في المواقف تتواكب مع تغير الأحوال وتطور الأحداث، بتناسق مع رسالته الصحفية التي آمن بها بوصفها منبرًا لنشر الوعي وصناعة الحاضر أو كما كتب : " لخلق رأي عام مستنير يشارك في فهم الظروف، والأحوال التي تحيط به "

كما شكلت المبادئ الوطنية في الحرية وبناء المجتمع المتطور المزدهر قلاعًا حصينة تمسك بها بروح الثائر اليقظ، ونقاء الفدائي، وهذه الاتجاهات يمكن ملاحظتها بصورة لافتة في مقالاته التي صاغها بحرفية عالية ورؤية وطنية واضحة في مرحلة تاريخية فارقة من تاريخ المنطقة حيث واكبت بدايات العصر الناصري العربي القومي، وحركات التحرر

الوطني، ومحاولات تشكل الجنوب العربي في صيغ تحمل مشاريع متنوعة، كما واكبت مرحلة إرهاصات ترنح سلطنات ومشيخات وإمارات الجنوب العربي، ونمو الحركة الوطنية الجنوبية، ونهايات عصر الاستعمار البريطاني. ومن هنا تأتي الأهمية الاستثنائية في جمع مقالات باوزير بوصفها بناءً معرفيًا واضح الملامح والأركان رصدت أحلام الناس وتطلعاتهم في الحياة الكريمة، وهي تطلعات قديمة جديدة عابرة لعقود الزمان. فما تزال التساؤلات ذات التساؤلات، وما يزال الناس، كما في عصر باوزير المزدحم بالأحداث والتحولات، يدورون حول أنفسهم وهم يبحثون عن نقطة البداية الصحيحة.

ولم يكن باوزير، في بداية عهده مع مهنة المتاعب، بالصحفي المغمور أو الباحث عن مكان للشهرة في الصحف العدنية، بل دخل معترك العمل الصحفي بسلاسة جعلته يأخذ مكانه اللائق مع الأسماء الصحفية المعروفة. ويمكن ملاحظة ذلك ليس فقط في الموضوعات الاجتماعية والسياسية المهمة التي تطرق إليها، وخاض فيها، بل أيضًا في الأعمدة الثابتة التي خصصت باسمه وهو تقليد في العمل الصحفي لا يمنح إلا لمن تمرس في العمل، وامتلك خبرة واسعة.

واختار لهذه الأعمدة عنوانات مختلفة؛ ففي صحيفة النهضة حمل عموده عنوان (تساؤل) وفي صحيفة الرقيب (أضواء) وفي صحيفة الأيام (كلمة اليوم). وأحيانًا يتبع العنوان الأساسي عنوان آخر يوضّح محتوى المقال المتناول، وعلى أية حال فإن عنوانات الأعمدة تلمح -أو هكذا يبدو لنا- إلى جوانب من شخصية الصحفي باوزير المتطورة. فالبداية مع (التساؤلات) وما تعنيه من تلمس الطريق وتحديد الأولويات، مرورًا

بمرحلة التركيز على الأمور المهمة في (أضواء)، ووصولًا إلى الكلمة المباشرة القريبة من الناس، ومع هذا لا نجد فواصل حادة بين هذه الكلمات ورسالتها، إذ نجدها تلتقي بنسب متفاوتة في مجرى واحد في أثناء سعيها لتحقيق أهدافها المجتمعية التنويرية.

وبالرغم من تنقلات باوزير بين هذه الصحف العدنية فإنه حافظ على أسلوبه الخاص، مع التركيز على الموضوعات المرتبطة بالقضايا الوطنية والقومية بحيث يصعب على المتابع تحديد الصحيفة التي نشر فيها مقالاته إذا قرئت خارج إطار صفحاتها.

وفي صحيفتي (النهضة) ثم (الرقيب) تطرق في موضوعاته إلى شؤون حضرموت جنبًا إلى جنب مع اهتماماته بالقضايا الوطنية والعربية. أما عموده في صحيفة (الأيام) فقد ركز فيه على القضايا العربية والجنوب العربي، وعلى أية حال فإن باوزير انقطع عن عموده في (الأيام) في أواخر عام ١٩٥٨م وركز جهوده في صحيفة الطليعة التي أسسها في منتصف عام ١٩٥٩م بإسناد الخبرة التي اكتسبها في مدينة عدن.

وبعودة إلى مرحلة باوزير العدنية نلاحظ أن الروح الإصلاحية هي الغالبة عليه، فكان متحفظًا في كلماته من قضية الاستعمار البريطاني لعدن- عكس ما كان في مرحلة حضرموت- وكان كغيره من المتنورين يرى في النظام الدستوري والانتخابي وسيلة لتحقيق بعض التطلعات الوطنية؛ لهذا خلت مقالاته من النبرة الهجومية لكنها تماهت مع الدعوات الوطنية الرافضة للوجود البريطاني، والتطلعات لإقامة دولة للجنوب العربي، وهو بذلك لا يشذ عن ظروف عصره، وملابساته، ومحاذيره.

وتفاعل باوزير، على ما يموج في الساحة الوطنية في المستعمرة عدن، ليس فقط مع القضايا التي يخوض فيها، بل خصص جزءًا من اهتماماته للردود على مقالات الكتاب في الصحف العدنية الصادرة وقتئذ سواء بالتأييد أو التفنيد، ويكتب ذلك بروح استقلالية تنم عن شخصية واثقة من نفسها تنبذ لغة النفاق. من ذلك هذه الإشارة التي قال فيها: "وسيغضب من هذا الكلام ناس كثيرون من بينهم أصدقاء لنا ولكن لا بأس من هذا الغضب حتى الآن لأننا إذا أقمنا مثل هذه الاعتبارات أثناء دراستنا لمشاكلنا الحالية فإن فرص النجاح ستضيع من أيدينا بسبب المجاملة غير المحمودة".

وحظيت حضرموت وأخبارها بحيز كبير في مقالاته، بل كانت في العمق منها، وحاول التوفيق بينها وبين قناعاته بأهمية انضوائها في الجنوب العربي انطلاقًا من الإيمان بالوحدة العربية التي كانت تبدو وقتئذ قريبة المنال. وإذا جنبنا المقالات التي وقف فيها داعيًا إلى إصلاح الأوضاع العامة في حضرموت بالاقتراحات وكلمات التشجيع، فإنه في الآن ذاته يشد على الحضارمة ويبدي امتعاضه ومرارته لبعض السلوكيات والتصرفات التي تهدم ولا تبني وكان يرى: "أن إصلاح الوطن لن يكون إلا إذا طرحنا هذه الذاتية البغيضة وفكرنا في العمل لخدمة وطننا وشعبنا". ومع ما يميز بعض المقالات من حدة في الطرح كنقده لتفرق كلمة الحضارمة، وميلهم إلى الثرثرة في المجالس، فإنه إنما يصرح بذلك من ألم وحرصٍ عميقٍ ينشد التغيير إلى الأفضل.

ومع هذا وفي خضم زحمة الأحداث وغموضها وفورة الانفعالات، كان باوزير متفائلًا، ومؤمنًا بحركة التاريخ وحتمية تبدلاته، وتوقع ظهور "الزعيم المنتظر"

للجنوب الذي سيظهر، كما قال، من بين صفوف الشعب يعبر عن أحاسيسه وينصهر في بوتقته. ولكن بعد مرور أكثر من نصف قرن ما يزال الزعيم غائبًا، وما يزال أمل باوزير في الوطن المزدهر المنشود قائمًا، ومن هنا تكمن أهمية العودة إلى قراءة هذه المقالات برداء الحاضر، وخبرة الزمان لتكون زيارة حوار جاد مع باوزير، أكثر منها عودة للتاريخ، وحنينًا إليه.

❋ ❋ ❋

قراءة في مقالات أحمد عوض باوزير في صحيفة (الطليعة)

يضم هذا (الكتاب) المقالات والاستطلاعات والحوارات الصحفية التي كتبها الأستاذ أحمد عوض باوزير في صحيفة (الطليعة) (١٩٥٩- ١٩٦٧م)، وهو الكتاب الثالث في المشروع التوثيقي الإحيائي لتراث باوزير التنويري الوطني الذي تصدى لجمعه ثلة ممن ارتبطوا به بعلاقات أسرية، وشخصية، وثقافية، كما ارتبطوا فيما بينهم بمسافة متقاربة من حيث الصداقة والاهتمام بالمجال الثقافي والاشتغال به،وتشمل هذه المؤلفات الثلاثة معظم كتاباته الصحفية فيما أطلقنا عليهما المرحلة العدنية (١٩٥٣- ١٩٥٨م)، ومرحلة حضرموت (١٩٥٩- ١٩٦٧م)، وهاتان المرحلتان تمثلان الحضور القوي للأستاذ أحمد عوض باوزير في مشواره الصحفي حيث شهدتا ذروة تفاعله مع القضايا الملحة وقتئذ، والتطلعات الوطنية نحو الحرية والتقدم والازدهار.

وقد كتب باوزير هذه المقالات المتنوعة العنوانات والموضوعات على صفحات صحيفته جنبًا إلى جنب مع مقاله الثابت في عموده المعنون (الطليعة تقول..)، وقد عزا باوزير هذا المنحى إلى الصعوبات المالية التي تعانيها صحيفته وحول ذلك كتب : " إن الصحيفة تعتمد على قلم محررها الأوحد فهو غير قادر على توظيف محرر آخر معه ولو فعل ذلك لاستحال عليه أن يصمد طويلًا " [الطليعة، العدد ٣٥٧يوليو ١٩٦٦م]، ولهذا تعددت مهامه من رئيس التحرير وصاحب الامتياز إلى الكاتب، والمحرر،

والمصحح اللغوي، والمحاور، وصاحب الاستطلاعات، وهذا التداخل الاضطراري المزدحم بالأعباء جعل باوزير يرتفع كما يبدو لنا من دور الصحفي المحترف أو المحرر الأوحد – كما وصف نفسه – إلى مستوى أولئك الرواد العاكفين على رسم معالم الطريق لمجتمعاتهم، والمؤثرين في صناعة القرارات المهمة فيها.

وإذا قارنا بين ما كتبه في عموده الثابت (منبره) في هذه الصحيفة ومقالاته المتناثرة على صفحاتها نلاحظ صياغته لعموده الأسبوعي بلغة مكثفة محددة المعاني، وذات شحنات انفعالية متعمدة لعله بذلك يستهدف القارئ السريع الذي لا يبحث عن التفاصيل في ثنايا الصفحات، بينما نجده في مقالاته وحواراته خارج ذلك العمود يحرر نفسه من القيود المغلقة ويشرح أفكاره، ويترك لقلمه العنان يخوض ما شاء الله له الخوض في التفاصيل دون المساس بالثوابت المعلنة للصحيفة وصاحبها. وأحيانًا تظهر هذه المقالات وكأنها مكملة أو تابعة لعموده الذي يستعجل الأخبار ويسابق الزمان قبل تدفق المعلومات وانجلائها، وكيفما كان القول فإن كلمات باوزير أينما استقرت في الصحيفة فإنها تهدف –كما يُستشَف– إلى تنوير العقول، وإرشاد الناس إلى سواء السبيل.

ومعروف أن الوظيفة الأساسية للصحف هي تقديم خدمة إعلامية تساير حاضر مجتمعها، لكنها بتقادم الزمان تتغير وظيفتها وتصير شاهدة على عصرها. وعلى فرضية أن كل الصحف لا تمتلك الحيادية وتعبر عن وجهة نظر القائمين عليها والداعمين لها، فإنها بلا شك تعد وثائق تاريخية لا تقل أهمية عن الوثائق الرسمية التي تعكس وجهة نظر الحُكم والحكام أو غيرهم من المؤثرين في مجتمعهم، وكل وثيقة محسوبة على عصرها.

وعلى الإجمال فإن محتوى الوثائق على أهميتها في الكتابة التاريخية لا تعني المعلومة الصحيحة أو الحقيقة المطلقة بل منها ما يشوه الحقائق، ويتعمد التضليل، ولهذا فإن الصحف عندما تكون في ذمة التاريخ تصير - مثلها في ذلك مثل بقية المصادر - تاريخًا تحت التصنيع وتحت مجهر الفحص والتحليل، ولهذا بعد مرور خمسين عامًا من توقف صحيفة (الطليعة) التي استمرت لثمان سنوات التحمت فيها بقضايا عصرها وتحولاته الكبيرة تأتي قيمة مقالات هذا الكتاب بخاصة والصحيفة بعامة لكل من أراد أن يخوض في دراسة تاريخ حضرموت المعاصر، ويفهم حاضرها، ويستشرف مستقبلها.

ومن خلال القراءة المتأنية للمقالات نلاحظ أن باوزير دخل ميدان الصحافة بعقلية المحارب ،فقد احتلت مفردتا (المعركة) و(الانتصار) حيزًا لافتًا في كلماته، فعلى سبيل المثال كتب في أحد هذه المقالات : " وهذه هي بداية المعركة أو هذه هي حقيقة المعركة، وكانت الخطة أن نواجه هذه المعركة بالصمت لأن الهدف الحقيقي للمعركة هو جرنا إلى معارك كلامية ثم إلى معارك جانبية" [الطليعة،العدد ١٥/ سبتمبر ١٩٥٩م] . وحقيقة الأمر كان باوزير (يقاتل) في أكثر من جبهة، فتارة تجده في وسط الصحراء باحثًا عن أخبار الاستكشافات البترولية وما تعنيه من آمال عند شعب فقير يبحث قسم كبير منه عن رزقه خارج حدود أرضه، وتارة تجده مع البادية في أعالي الجبال (الصيطان) يتتبع أخبارهم ومشكلاتهم مع السلطات الحاكمة، وأحيانًا يحاور الساسة من الأجانب والمحليين يبحث عن إجابات ترفع المعنويات وتكشف عن الحقائق، ومن موقعه داخل صحيفته لا يتردد في إطلاق مقترحاته لتطوير الخدمات الاجتماعية كالماء والكهرباء والطرقات

والصحة والتعليم، وينتقد الظواهر الاجتماعية المتخلفة حتى يخيّل للمتابع لمقالاته وكأنه نصب نفسه متحدثًا باسم الأهالي عن كل ما يجيش في خواطرهم، وما يتمنون تحقيقه.

لكن لم تكن الطريق مفروشة بالورود والرياحين أمام باوزير فعليه مواجهة حرب الأكاذيب والأحقاد التي شُنت عليه -كما يصفها – كما اضطرته الظروف إلى الدخول في معارك جانبية مع من يسميهم الخفافيش "الذين لا يرون إلا في الظلام، ولن يستطيعوا وقف حركة التاريخ" [الطليعة، العدد ١٥٣/ يوليو ١٩٦٢م]. وعليه أيضًا مقارعة أولئك الذين يسعون إلى تثبيط الهمم والتقليل من الجهود التي تبذل. ومما يدلل على استعداده لخوض تلك المعارك هو تعمده تذييل مقالاته باسمه، ولم يتخفّ تحت الأسماء المستعارة التي لا تخلو صحيفته منها لأسباب خاصة بأصحابها، وهذا الوضوح جعله عرضة لخصومات ممن مست مقالاته مصالحهم، أو تعارضت مع اتجاهاتهم.

ورغم تعدد الجبهات التي خاض غمارها باوزير فإن معركته مع الحرية أو من أجلها احتلت مكانة خاصة وأعطاها جُلّ اهتمامه، ولهذا كتب "إن إيماننا بالتحرر لا ينبع من إيماننا بالشعارات أو النصوص الحرفية المكتوبة وإنما هو نابع من شوقنا الأبدي للحرية التي بدونها لا يكون للكون معنى" [الطليعة،العدد٧٩/ ديسمبر ١٩٦٠م] ومن هنا نفهم تناثر دعوته لإصدار قانون إطلاق الحريات في ثنايا العديد من مقالات، يطلقها للتأكيد والتذكير، وفي الآن نفسه يتلمس مشكلات المجتمع، وينتقد النزعة الفردية عند الحضارمة وغياب ثقافة المشاركة في الخدمات العامة، وعندما كانت القضية المتعلقة بالوحدة الحضرمية بين سلطنتي حضرموت القعيطية والكثيرية مثار نقاش واسع عند

النخبة المتعلمة ورجال الحكم والسياسة، كان باوزير يؤكد على أن الحرية هي المدخل الأساسي للوحدة الحضرمية فمن خلالها – كما يرى– ستخلق فرص لإبداء الشعب وجهة نظره وفي هذا الصدد قال : " ولم يخامرني شك أن هذه الحواجز ستنهار قريبًا عندما يبلغ الوعي الصحيح مداه " [الطليعة،العدد١٣/ أغسطس ١٩٥٩م].

وإذا تأملنا معارك باوزير بعيدًا عن ميادينها ربما سيقول قائل إنه أقرب إلى المثالية السياسية، ذلك أن المفاهيم والرؤى التي يطرحها مثل الحرية والديمقراطية والمجالس التشريعية وحكم الشعب تتجاوز في مستواها المجتمع الحضرمي الفقير في اقتصاده، فنسبة الأمية فيه هي الغالبة وفرص التعليم الثانوي لشبابه محدودة ويخلو من التعليم الجامعي ؛ ولهذا لا غروَ أن تصير صحيفته من أوائل ضحايا النظام الثوري الجديد ومع هذا هناك من سيرى في باوزير المثقف السابق لعصره وربما سيشبهه بالمفكرين الفرنسيين الذين مهدت أفكارهم لنجاح الثورة الفرنسية مع بعض التحفظات.

لكن مشكلة عصر باوزير في مشواره الصحفي (مرحلة حضرموت) تكمن في قصر المدة الزمنية وتداخلاتها بين مرحلتي التحضير للتغيير ولو بصورته الإصلاحية وبين التغيير الثوري الدراماتيكي الذي سجل نهاية النظام السلاطيني في حضرموت، فخلق ذلك التحول السياسي السريع وضعًا مرتبكًا جعل لحظة الثورة تمكث أطولَ مما ينبغي، ولهذا اختلطت الأمور، وتعثرت الخطى، وغابت الرؤية السليمة. وربما هذا ما دفع باوزير ليعبر عن اندهاشه من سلبية الجماهير القاسية (حسب وصفه) بعد مرور ثلاثة أسابيع من أحداث ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م حيث قال : " إنها لم تكن كما يبدو في مستوى الحدث

الكبير...ذلك أن تلك السلبية من الجماهير صاحبة المصلحة الأولى في الثورة موقف محيّر، أو هو ينطوي على كثير من التساؤلات" [الطليعة، العدد٣٩٤ / أكتوبر ١٩٦٧م] " لكنه حاول أن يسوغ الأمور لصالح (الثورة) والتفاف الجماهير حولها، ويمكن أن نعزو تدني التفاعل الجماهيري مع العهد الثوري الجديد الذي حيّر باوزير إلى أن المكلا المدينة آثرت الانتظار لاسيما وأن العلاقة بينها وبين حكامها الراحلين ليست من السوء بحيث تسمح بتحول مشاعر الناس بالسرعة ذاتها التي تواكب التغيرات السياسية (الثورية).

وعودة إلى باوزير أو بعودة باوزير إلينا سيجد القارئ في هذه المقالات التي ضمها هذا الكتاب روح باوزير الثورية التواقة نحو الحرية، وسيلاحظ صولاته لتحقيق الأهداف الوطنية التي آمن بها، وسعى إلى تحقيقها، كما سيلمس انحياز باوزير إلى قضايا التحديث في مجتمعه. لكنه رغم جهوده المخلصة عانى وهو في قمة عطائه الصحفي التنويري والتثويري من صنوف من الأذى والتشكيك، وهي سنّة تاريخية لم يسلم منها أصحاب الرسائل النبيلة تجاه أوطانهم، ولهذا ضمّن أسلوب رده على تلك الحملات ما ينم عن شخصيته الواثقة من نزاهتها، ومما قاله: " ويشهد الله والتاريخ أن صحافتنا لم تتاجر بالكلمة، ولم تساوم عليها بل وقفت في شرف وبطولة لتدافع عنها رغم ما لحقها بسبب ذلك من صنوف الأذى" [الطليعة، العدد١٣٣/ يناير ١٩٦٢م].

لا ريب أنْ سيقرأ الناس باوزير بأكثر من زاوية نظر، ومن المؤكد أنهم سيتفقون معه ويختلفون. ربما شهادتنا مجروحة في باوزير، ولكننا نرى أن التاريخ سيشهد لصالحه، وسيشهد له الله، وهو خير الشاهدين.

ثالثاً:

بين يدي المؤلفات.. أضواء، ووقفات

ترجمة الزعيم حسين بن حامد المحضار

يضعنا هذا الكتابُ القيّم أمامَ بعض تساؤلات التّاريخ من قبيل: ما هو كُنْهُ الدّور السّياسيّ لفئة السّادة في حضرموت؟ وكيف جاء حضورهم اللاّفت في بنية المجتمع؟ وما هي أسرار احتفاظِهم بمكانتهم الاجتماعيّة لقرونٍ عِدّةٍ منذ دخول جدّهم الأوّل السيّد أحمد بن عيسى المهاجر حضرموت في سنة ٣١٨هـ. هذه التّساؤلات الشّائكة لم تنَلْ حظَّها من الدّرس التّاريخيّ الرّصين، وعلى أيّةِ حالٍ فقد تناقلت الأدبيّات التّاريخيّة الحضرميّة الحادثة الشّهيرة للسيّد محمّد بن عليّ باعلوي الملقّب بالفقيه المقدّم (٥٧٤-٦٥٣هـ) عندما قام بكسر سيفه أمام شيخه عليّ بن أحمد بامروان وإعلانه طريقة التّصوّف، وبصرف النّظر عن حيثيّات هذه الرّواية التّاريخيّة فإنّها تؤذِنُ بأنَّ أيّ فعلٍ سياسيٍّ يتطلّعُ إلى صدارة سدّة الحكم لن يكون من أوّليّات فئة السّادة في حضرموت. ثمّ صار تخلّيهم عن حمل السّلاح مع مرور الزّمن نسقًا اجتماعيًّا في نظام التّراتُبِ الاجتماعيّ وفي الوظيفة الاجتماعيّة لهم.

ولهذا فإنّ رمزيَّةَ التّخلّي عن السّلاح في مجتمعٍ تغلِبُ عليه الفوضى القبليّة، ولا يتّسم بتقاليد الدّول ذات الشّوكة والمنعة قد يُحسَبُ في ضمن الخطوات غير المحسوبة، كما أنّ التّخلّيَ عن السّلاح في المجتمع الحضرميّ يرمز إلى النّزول في السُّلّم الاجتماعيّ إلى فئة الحضر، وهم شرائح سكّان القرى والبلدات والمدن، ولكن دلَّت الأحداثُ التّاريخيّة ـ وخاصةً عندما صار التّخلّي عن السّلاح نسقًا مُتّبعًا عند معظم رجال فئة السّادة ـ على

بعد نظرهم وسلامة نهجهم، وربّما سيكون هذا مدخلًا لفهم محدّدات مساحة دورهم السّياسيّ في المجتمع الحضرميّ.

صحيحٌ أنّ خطّ تطلّعاتهم السّياسيّة توقّف بموجب ذلك عند خطٍّ إسداء النّصيحة وتقديم الاستشارة. لكنّهم بالمقابل تحصّلوا على فرصٍ كبيرةٍ أتاحت لهم حرية التّحرّك والاستقرار تدريجيًّا في معظم مناطق حضرموت، وساعد الاعترافُ المجتمعيُّ بنسبهم الشّريف، الذي يرتفع إلى الرّسول محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم من ابنته فاطمة، على الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعيّة، وعزَّزَ ذلك من دورِهم التّنويريّ والدّعويّ في المجتمع، وهذا كلّه يسّر قيامهم فيما بعد بدور الوسيط في فضّ المنازعات القبليّة، ومحاولات رأب الصّدع بين المتصارعين السّياسيّين.

وفي سياقٍ متصلٍ نجد تراتبيّة المشايخ في حضرموت تسير في الاتّجاه نفسه في الدّور والوظيفة الاجتماعيّة، وفي الانتشار المجتمعيّ، حتّى استقرَّ في العقل الجمعيّ الحضرميّ حيادِيتهُم، وصار ـ السّادة والمشايخ ـ من ضرورات الضّبط الاجتماعيّ، كما ساعدوا في تعزيز النّسيج الاجتماعيّ والـهُويّة الثّقافيّة الحضرميّة بمذهبها الشّافعيّ، وطريقتها الوسطيّة، الّتي تمدَّدَت في جوارها الجغرافيّ وصارت من المكوِّنات الثّقافيّة الدّينيّة الأصيلة فيها، خاصّةً في حبّان وأحور ويافع ولحج وعدن والبيضاء والحديدة، وغيرها من المناطق لكن بِنِسَبِ تأثيرٍ متفاوتة.

وهذا الثِّقَلُ المجتمعيّ للسّادة في حواضر حضرموت وبواديها ربّما يدفع بتساؤلاتٍ من قبيل لماذا لم يتطلَّعوا إلى تحقيق مكاسب سياسيّةٍ مباشرةٍ، لاسيّما أنّ منهم أسرًا بارزةً

كآل الشّيخ أبو بكر، وآل العطّاس، وآل ابن شهاب، وآل العيدروس وغيرهم، صارت لها المرجعيّة الاجتماعيّة والدّينيّة على أهمّ القبائل الحضرميّة وغير الحضرميّة؟ في اعتقادنا أنّ القبيلة في حضرموت لم تكن لها مشاريع سياسيّةٌ كبرى، وكانت متوقّفةً في مفهوم الوطن عند مثاويها الـمتعارف عليها، لهذا انكفأت على ذاتها، لكنّها كانت ترفض فكرةَ السّلطة السّياسيّة من خارجها، وتقبّلت مبدأ المرجعيّة الاجتماعيّة. كما أنّ السّادة ـ وتأكيدًا لنهجهم السّلميّ الإصلاحيّ ـ غيرُ مستعدّين تاريخيًّا واجتماعيًّا لتحمُّل تكاليف صدارة التّحرّكات السّياسيّة وأعبائها للوصول إلى السّلطة. وفي رأينا أنّ فكرة الزّهد في السّلطة، وتفضيلهُم لفكرة دور الضّابط الاجتماعيّ حافظت على تغلغلهم بسلاسةٍ في المجتمع الحضرميّ، وفي تثبيت مكانتهم الاجتماعيّة.

ولعلَّ في هذا الـمدخل التّاريخيّ الموجز، وتلك التّساؤلات المحفِّزة للبحث بدايةً مناسبةً قد تساعد القارئ الكريم في معرفة الممهِّدات التّاريخيّة والاجتماعيّة لوصول أسرة آل المحضار للمكانة الرّفيعة في السّلطنة القعيطية، وأهميّة دورِهم في مجرى التّاريخ الحضرميّ المعاصر من أواخر القرن التّاسع عشر الميلاديّ إلى العقد الرّابع من القرن العشرين الميلادي، وهي مُدّةٌ شهدت اعتلاءهم لمنصب الوزارة في السّلطنة القعيطيّة، وهم: السيّد حسين بن حامد المحضار (صاحب هذه التّرجمة)، ثمّ ابنه السيّد أبوبكر بن حسين بن حامد، ثمّ حفيده السيّد حامد بن أبي بكر (مؤلِّف هذا الكتاب).

ومعروفٌ في تاريخ حضرموت الصِّلات الرّوحيةُ الخاصّة بين قبيلة يافع ـ والقعيطيّون منهم ـ وفئة السّادة في حضرموت وخاصّةً أسرة آل الشّيخ أبو بكر في عينات، وآل

المحضار فَرعٌ منهم ـ وهو ما ألمح إليه المؤلّف ـ وهذه العلاقة يسَّرت لصاحب التّرجمة أن يحظى بمكانةٍ متقدّمةٍ عند القعيطيّين، إلى أن صار وزيرًا بصلاحيّاتٍ جعلتهُ في موضع السّلاطين من حيث الحلّ والعقد. وتتوجب الإشارة هنا إلى أنّ القدرات الشخصيَّة للسيّد حسين المحضار ساعدته في أن يلفت الأنظار، وأن يكون جديرًا بالمهامّ الكبيرة التي تحمَّلها، وهي قدراتٌ متعددةٌ، تفصح عنها فصول هذا الكتاب.

وإذا عدنا إلى مربّع التّساؤلات ربّما سيقول قائلٌ: لماذا استوزر القعيطيّون السيِّد حسين بن حامدٍ المحضار ولم يختاروا رجلًا من قبيلة يافع، لاسيّما أنّهم دخلوا في معترك الحياة السّياسيّة بمفهوم الدّنيا لـمن غَلَبَ؟ وإذا تطوَّعنا بالإجابة نيابةً عن القعيطيّين، سنجدهم وهم في بدايات تأسيس حكمهم كانوا يدركون طبيعة نظرة المجتمع إليهم بوصفهم من القبائل اليافعيّة الذينَ قَدِمَ أجدادُهم إلى حضرموت عبر مراحل تاريخيّةٍ متنوّعةٍ. لهذا وُجِدت عندهم الحاجةُ إلى واجهةٍ اجتماعيّةٍ حضرميّةٍ تحظى بمكانةٍ مرموقةٍ في أوساط المجتمع، لكنّها محصورةٌ في تطلّعاتها بسقفٍ سياسيٍّ محدّدةٍ ملامحُه، ومعروفةٍ طموحاته وقدراتُه، ومن جانبٍ آخر فإنّ منصب الوزارة يُحقّق للمحاضير تطلّعاتهم بأن يكونوا فاعلين في مجتمعهم دون أن يتحمّلوا تبعات التّطلّع نحو صدارة الحكم وتكاليفه، وهكذا التقت الحاجات والأهداف والمصالح بين الطّرفين.

والكتابُ يغطّي مرحلةً مهمّةً من تاريخ حضرموت اتّسمت في بداياتها بالصّراع السّياسيّ والعسكريّ الّذي أفرز وقائع سياسيّةً جديدةً على حساب الكيانات السّياسيّة الصّغيرة، مثل: الإمارة البريكيّة في الشّحر، والكساديّة في المكلّا. كما أنّ هذه المرحلة

شهدت نهاية تطلُّعات السّلطنة الكثيريّة الثّانية ليكون لها موطئ قدمٍ على السّاحل الحضرميّ. كما شهدت هذه المرحلة التدخل البريطانيّ في شؤون حضرموت، والجنوب عامّةً حتّى يكون لهم القِدحُ المعلَّى في تصريف شؤونها، وفرض تبعيّتها لها. كما شهدت هذه المرحلة اندلاع الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤م، وتقاطع المواقف بين الدّولة العثمانيّة المسيطرة على شمال اليمن، والبريطانيّين في عدن وما جاورها، وما لحق ذلك من تحديد المواقف ولو بالتعاطف مع أطراف الصّراع الدّوليّ.

وعلى مستوى السّلطنة ووزيرها حسين المحضار فإنّ مرحلة ما بعد الحرب العالميّة شهدت رسوخ سلطة القعيطيّين، وكان صاحب التّرجمة هو الدِّينمو في تثبيت سلطنتهم، وفي امتداد نفوذها، وذلك بقدرته على إقناع القبائل بعقد اتّفاقيّات تحالفٍ وتبعيّةٍ للسّلطنة القعيطيّة، وهو ما يمكن وصفُهُ بالتّوسّع السَّلِس عن طريق الاتّفاقيّات، وهذه الإنجازات جعلت صاحب التّرجمة يحظى بثقة السّلاطين القعيطيّين، ويؤكّد ذلك ما ضمّنهُ المؤلّف من وثائق بإمضاءات السّلاطين القعيطيّين نصّت على موافقة السّلاطين القعيطيّين على كلّ ما يقرِّره السيّد المحضار في شؤون السّلطنة، وهي بمثابة صكٍّ مفتوح، وعلى أيّة حال ففي الكتاب تفاصيل عن حياة المحضار السّياسيّة المجتمعيّة، وتعريفٌ بالسّلاطين المعاصرين لصاحب التّرجمة وعلاقاتِه بهم.

ولأنّ السّيّد حسين المحضار يترجم له بوصفه وزيرًا للسّلطنة القعيطيّة فقد أجاد المؤلّف في ربط سيرة المحضار بتاريخ السّلطنة القعيطيّة وتاريخ حضرموت عمومًا، ولهذا أفرد فصلًا كاملًا عن معاهدة عدن لعام ١٩١٨م بين سلطنتي حضرموت الكثيريّة

والقعيطيّة بإشراف السّلطات البريطانيّة في عدن وبَيَّنَ وجهات النّظر المختلفة حيالها. كما لم يغْفِل المؤلّف الإشارة إلى الانقسام الحضرميّ في إندونيسيا، ووصفهُ بالفتنةِ الحضرميّة، وقد عاصر الوزير المحضار هذه التطوّرات، بل كان في العمق منها من حيثُ المتابعة والتّأثير، وبهذا يرتفعُ الكتابُ من مجرّد سيرةٍ لعلمٍ من أعلام حضرموت الكبار إلى وثيقةٍ تاريخيّةٍ تحكي صفحةً فارقةً من تاريخ حضرموت المجيد؛ حيث كانت الجهود تبذل نحو إيجاد دولةٍ حديثةٍ متماسكةٍ في أجزاء واسعةٍ من حضرموت، وكان رأس السّهم في ذلك الوزير حسينَ بن حامد المحضار.

وفي الكتابِ ترجماتٌ لأعلامٍ من الأسرة المحضاريّة، وبعض الوجاهات الحضرميّة، الّتي ارتبطت بعلاقاتٍ أسريّةٍ، أو صداقةٍ مع المترجم له، أظهرت مكانة المترجَمَ له في مجتمعِه، ومدى علاقاته وتأثّرِه برجالات عصره، وتداخلاته وتقاطعاته معهم في الأمور التي تتعلّق بالشّأن الحضرميّ العامّ، وهذا يتّسِقُ مع الغرض الأساسيّ من الكتاب، وهو التّرجمة والتّعريف بحياة السيّد حسين المحضار.

وقد حفلَ الكتابُ بعددٍ من القصائد الشّعريّة الشّعبيّة، ضمّنها المؤلّف في متن الكتاب، وتستحسن الكتابات التّاريخيّة الحديثة وضع القصائد في ملاحق مستقلّةٍ، ومع هذا تبدو وهي في المتن متلائمةً مع النّسق العامّ للكتاب، وتتّسق مع المواضيع التي يتناولها، وعلى أيّة حال، وثّقت هذه المساجلات جوانب من تاريخ حضرموت، وسجّلت وجهات النّظر المختلفة تجاه القضايا السّياسيّة والمجتمعيّة الـملحّة وقتئذٍ، ومن جانبٍ آخر حافظ الكتاب على هذه النّصوص من الاندثار، وأتاح مجالًا خصبًا للعودة إليها وقراءتها من زوايا نظرٍ مختلفة.

وأتحفنا المؤلّفُ بفصلٍ خاصٍّ عن علاقته بالمستشار البريطانيّ لدى حضرموت هارولد إنجرامس (١٩٣٧م - ١٩٤٤) وقصّة إزاحته عن الوزارة بالضّغط البريطانيّ، وهو فصلٌ امتزجَ فيه الخاصُّ بالعامّ، لاسيّما فيما يخصّ حالة العداء التي استحكمت بينهما في أثناء مرحلة استعداد بريطانيا للتّدخّل المباشر في شؤون حضرموت، وعبّر عن ذلك إنجرامس في كتاباته، ووجد المؤلّفُ في هذا الكتاب فرصةً للتّوضيح، ومع ما شابَ الرّدود من صيغةٍ انفعاليّةٍ إلّا أنّ المؤلّف كان أمينًا في تضمين نصوص إنجرامس المسيئة إليه، وهذا يدلّ على تَحَلِّيهِ بفضيلة الشّجاعة الأدبيّة، ومهما يكن من أمرٍ فإنّ المستفيدَ الأكبر هو علم التّاريخ، فالنّصوص تتحدّث عن قضايا مجتمعيّةٍ، صادرةٍ من شخصيّاتٍ سياسيّةٍ رفيعةٍ، وهي بهذا تقدّم مادّةً تاريخيّةً دسمةً للمهتمّين بتاريخ هذه المرحلة.

كما تناول المؤلّف قضيّةً حيويّةً في تاريخ السّلطنة القعيطيّة، وهي وِراثةُ عرش الحكم، ويرى أنّها من أهمّ أسباب عزلِهِ عن الوزارة؛ لأنّ ذلك كما يذكر كان شرط إنجرامس لقبول بريطانيا تغيير وصيّة العرش القعيطيّ، وليكون الأمير عوض بن صالحٍ وليًّا للعهد بدلًا من ابن عمّه محمّد بن عمر القعيطيّ. ولا يخفي المؤلّف إحساسه بالمرارة من هذا العزل، لهذا وردت إشاراتٌ لاذعةٌ للسّلطان صالحٍ واتّهمه بالخضوع للبريطانيّين. وفي رأينا أنّ عزل المحضار له ما يسوّغهُ من النّاحيةِ الواقعيّة السّياسيّة بالنّسبةِ للبريطانيّين؛ فقد كانوا يتهيّأون لعقد معاهدة الاستشارة مع السّلاطين، ووجود شخصيّةٍ اعتباريّةٍ لها وزنُها في المجتمع جنبًا إلى جنبٍ مع وجود المستشار البريطانيّ ممّا سيعرقل السّياسة الجديدة، لهذا نجد إنجرامس يرشّح شخصيّاتٍ عربيّةً وغير عربيّة لاعتلاء منصب

الوزارة (السكرتارية)؛ لتحقيق أهدافه الاستعماريّة في التدخّل في تفاصيل الحكم في حضرموت من غير عوائق.

وأهمّ الوزراء الذين تولّوا منصب الوزارة بعد آل المحضار إلى أن سقطت السّلطنة القعيطيّة سنة ١٩٦٧م، هم: (سيف بن عليّ البوعلي ١٩٣٩-١٩٥٠م)، وهو زنجباريٌّ من أصلٍ عمانيٍ، ثمّ السّودانيّ (القدّال سعيد القدّال ١٩٥٠-١٩٥٧م)، ثمّ الباكستانيّ (جهان خان ١٩٥٧-١٩٦٤م)، ثمّ عاد منصب الوزارة لفرعٍ جديدٍ من السّادة، وهم آل العطّاس، بتعيين السيد (أحمد بن محمّدٍ العطّاس ١٩٦٤-١٩٦٧م).

وعلى العموم فالكتاب يشكِّلُ (بانوراما) امتزج فيها الخاصُّ مع العامّ، والانحياز الذّاتيّ مع الموضوعيّ، والسّيرةُ الشّخصيّةُ مع تاريخ المنطقة، وبالإجمال يُعَدّ الكتاب وثيقةً تاريخيّةً عبَّرتْ عن وجهة نظر المؤلّف للأحداث، فالمؤلّفُ يتَرجِمُ لجدّه، وإلى حدٍّ ما لأبيه، ثمّ يترجم لنفسه، وهؤلاء رجال دولةٍ، وصفاتهم الاعتباريّة تجعلهم عرضةً للدّرس التّاريخيّ، وقد أحسن المؤلّفُ صُنعًا بهذا المؤلَّف، الذي أضاء لنا صفحاتٍ من تاريخ حضرموت بما لها وما عليها. وإذا صار المحاضير -رحمهم الله- بصفاتهم الشّخصية إلى ذمّة الله فإنّ المحاضير بصفاتهم الرّسميّة سيظلّون مع أحداث عصرهم وشخوصه في ذمّة التّاريخ، ومن المؤكّد أنّ هذا الكتاب سيكون واحدًا من الشّهود في محكمة التّاريخ المتجدّدة، الّتي ستحفل بالضرورة بتنوّع الرّوايات والقراءات، وبتعدّد الميول والاتّجاهات.

بقيَ أن نقول إنّ أسرة آل المحضار كانت حاضرةً بقوّةٍ في المشهد السّياسيّ والاجتماعيّ في حضرموت في النّصف الأوّل من القرن العشرين، وكان أبرزهم من

حيث التّأثير وكثافة الحضور الـمترجَمَ له في هذا الكتاب (السّيّد حسين بن حامدٍ المحضار)، الّذي اجتمعت فيه صفاتٌ ومواهب عدّةٌ، منها الحنكة السّياسيّة، والقدرة الإداريّة، والإجادة في الشّعر الشّعبيّ، وفي سياقٍ شبه متّصلٍ ـ وقد يكون هذا خارج نطاق التّقديم للكتاب ـ فإنّ النّصف الثّاني من القرن العشرين شهد ظهور شاعرٍ محضاريٍّ، ذائع الصّيت، من أحفاد صاحب التّرجمة، هو: (حسينُ بن أبي بكر بن حسين بن حامد المحضار)، الـمتوفّى في ٥ فبراير ٢٠٠٠م. صحيحٌ أنّه قد اختلفت سياقاتُ الاهتمامات، وكذا أغراض الشّعر بين الحسينين المحضاريّين، غير أنّ ما يعنينا في هذه الإشارة الـمقتضبة القول: إنّ هذه الأسرة المحضاريّة لم تَكُنْ عابرةً في زمان القرن العشرين، بل كانت حاضرةً في كثيرٍ من تفاصيلِه، فهل كان القرنُ العشرون في حضرموت قرنًا محضاريًّا؟ إنّ الكتابَ الذي بين يديك، عزيزي القارئ يحكي قصّةَ آلِ المحضار مع الحكم والسّياسة، والشّعر والأدب، ولهذا وقبلَ البحث عن إجاباتٍ شافيةٍ عن التّساؤلات علينا أوّلًا تقليب صفحات هذا الكتاب لنبدأَ من البداية.

* * *

الرحلة السلطانية إلى دوعن

عن دار حضرموت للدراسات والنشر صدر كتاب: الرحلة السلطانية إلى الجهة الغربية من المملكة الحضرمية (دوعن)، تأليف السلطان صالح بن غالب القعيطي، ومن تقديمنا، وعندما استقر رأينا على عرض هذا الكتاب في هذه المجلة حددنا لأنفسنا هدفًا ومنهجًا خاصًا بحيث يتم العرض بأسلوب المتابعة خفيفة الظل؛ لهذا شرّعنا لأنفسنا التمرد على التاريخ ومنطقه التسلسلي. وبدايةً يمكن قول الآتي: إجمالي عدد صفحات الكتاب ٧٠صفحة، عدد صفحات الرحلة ٥٣، صفحات الجوانب العلمية تقريبًا ٢٣صفحة، الرحلة الفعلية ٣٠ صفحة.

وقد تعمدنا الابتعاد عن صفحات القسم العلمي الطبيعي والتطبيقي إن صح التعبير أو التصنيف. فما يقارب نصف الكتاب تناول فيه السلطان بالشرح والتفسير قضايا علمية لبعض الأجهزة والظواهر الطبيعية، أفصحت ملاحظاته لها وتعليقاته عليها بحق عن شخصية عالم مطلع ومتابع عن كثب للتطورات العلمية في علوم شتى، ولكنه أدخلنا في مجال ليس من تخصصنا وسنتركه لغيرنا.

ونبدأ بالتاريخ والتأريخ: نحن هنا نتحدث عن كتاب دون رحلة أو رحلة في كتاب، فهو إذن كتاب ورحلة وبدورنا سنرحل مع الكتاب ومع الرحلة لعلنا نكتشف فيهما شيئًا جديدًا ومفيدًا وممتعًا.

* مجلة شعاع الأمل العدد ٧٨مارس ٢٠٠٨م.

الرحلة في حضرموت، ولكن ماذا كان يحدث في حضرموت وخارجها وقتئذ؟ وما علاقة ذلك برحلتنا؟ لنرى.. الحرب العالمية الثانية في سنواتها الأولى، ألمانيا تسيطر على مناطق شاسعة من أوربا فقد آتت سياسة الحرب الألمانية الخاطفة أكلها. كانت ألمانيا مشحونة بنار عاطفية استغلها بذكاء أدولف هتلر وأيقن بعد انتصاراته السريعة أن سيطرته على العالم باتت وشيكة... حوالي ثلثي سكان حضرموت خارج وطنهم في مهاجرهم حيث توجد مصالحهم الاقتصادية الحيوية.. أخبار الانتصارات الألمانية تصل إلى الشرق الأقصى أولًا بأول، ولكن اليابانيين المتحفزين لم يلعبوا لعبتهم العسكرية ولم يغزوا الجزر الإندونيسية زمن الرحلة لهذا كانت حضرموت بعافيتها المعهودة.

أما بطل الرحلة ومؤلف الكتاب (السلطان صالح القعيطي) فقد مر على حكمه الرسمي للسلطنة حوالي خمس سنوات منذ استلامه للحكم عام ١٩٣٦م. والحدث الأبرز في حضرموت وقتئذ السلام والأمن الذي عم معظم حضرموت بموجب اتفاقيات الهدنة القبلية العامة (صلح إنجرامس) الذي يعد مطلبًا اجتماعيًا أكثر منه اجتهادًا فرديًا لهذا أو ذاك، وهذا لا يلغي أن سخاء السيد أبوبكر بن شيخ الكاف وكرمه، وتخطيط ومتابعة المستشار البريطاني إنجرامس قد أسهم في نجاح الهدنة. لقد التقى الاثنان في الأهداف واختلفا في النوايا، الأول ثروته وشخصيته دعمت السلام، وطائرات الثاني وقذائفه أكدته وعززته، وحضرموت المرهقة كانت مهيأة للقبول، وهكذا فبينما كانت أوربا تحترق كانت حضرموت تشهد نعمة السلام وتتذوق حلاوته، وفي هذا الظرف الدولي والمحلي انطلقت الرحلة. والسؤال الذي يطرح نفسه: متى بالتحديد كانت الرحلة؟

لم يذكر صاحب الرحلة ومؤلفها بداية تاريخية واضحة للرحلة ولا نعرف على وجه اليقين متى بدأ التأليف ومتى فروغ منه والمؤكد أن الكتاب طبع في اندونيسيا ١٩٥١م، وما بين سطور الكتاب لاحظنا إشارة تاريخية تقريبية لتاريخ الرحلة من خلال ما ورد في الصفحة ٢٥ من إشارة إلى الحرب العالمية الثانية ،الأمر الذي جعلنا نرجح أن تاريخ الرحلة ما بين ١٩٤٠- ١٩٤١م.

كان هدف الرحلة وجوهرها الاحتفال بفتح الطريق الجديد الممتد من المكلا إلى مرتفعات دوعن، وكانت وسائل المواصلات الشائعة والسائدة في زمن الرحلة هي الحيوانات (الحمير والجمال)، رغم أن السيارات بدأت في الظهور في حضرموت منذ عام ١٩٢٤م، إلا أن أعدادها قليلة ولم تنافس عملية النقل بالجمال إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وتركز ظهورها وتحركها في المدن الرئيسة. وقد استلزم وجود السيارات شق الطرقات وتعبيدها، وأول طريق مهد للسيارات بين ساحل حضرموت وواديها طريق الكاف أو الطريق الشرقية وذلك سنة ١٩٣٧م بطول ٢٠٠ ميل وكلف ١٨٠٠٠٠ألف ريال نمساوي .إن الجمل والطريق والسيارة ارتبطت في هذه المدة من تاريخ حضرموت بالاقتصاد والسياسة والنزاع والحرب.

ونعود إلى الرحلة والطريق... فإلى جانب السيارات المستخدمة في الرحلة والتي مكنتها هذه الطريق الجديدة المعبدة من الوصول إلى رأس الجبال (عقبة الحبل) استخدمت

المحفة وسيلة لانتقال السلطان في الأماكن التي لا تستطيع السيارات المرور بها، والمحفة كرسي محمول يشبه كراسي المهراجات الهنود الشهيرة . ومعروف أن الطرق تمثل شريان الحياة في كل زمان ومكان يمر فيها المسافرون تجارًا كانوا أو غير ذلك. وقد حدد السلطان هدف تمهيد الطريق وأهميته بقوله: ".... لتكون خير وسيلة لنقل المسافرين إلى أقصى بلدانهم بسرعة فائقة من غير أن يتحملوا الأتعاب الشديدة والمشقات العنيفة وتسهل بسببها المواصلات وتكثر بها المنافع والخيرات".

لم يشر السلطان صالح إلى كلفة هذا الطريق، ولا للجهود الجبارة التي بذلت ولكنه ألمح لنا بلسان حال غيره عندما أورد بأسلوبه الخاص رأي "المهندس" هادي بهيان الذي قال: " أيها السلطان إن هذا العمل لا يتم إلا بمساعدة الجان ويحتاج إلى بذل مال قارون ولا ينتهي إلا بعد قرون." واكتفى السلطان بهذه الإشارة الذكية، والحليم تكفيه الإشارة.

إن هذا الطريق المعبد مشروع حضرمي بامتياز خططت له ونفذته أيادٍ حضرمية بوسائل عمل بدائية حيث لا توجد (الشيولات) والحفارات والكسارات، ومع هذا لم يوصف هذا الطريق بالعمل الكبير، بل جعل الطريق يتكلم بنفسه عن نفسه وكانت أول كلمات الكتاب بعد البسملة: " رأيت من واجباتي الشخصية أن أنتحي في إنشاء طرق للسيارات في أنحاء المملكة الحضرمية وأجد وأجتهد في إيجاد جادة بين ساحلها وأقصى حدود الدولة القعيطية " ...."وما قصدت بهذا العمل إلا خدمة وطني وأمتي وهي غاية منيتي وأمنيتي" إذن هو ضرورات الواجب والسعي لتحقيق الأمنيات.

ولكن هل لهذه الطريق أبعاد سياسية وعسكرية تتعلق بالصراع الطويل بين عشائر الحموم والسلطنة القعيطية؟ ولا نريد أن نحمل الأمور ما لا تطيق ومن جانب آخر لا نستطيع ونحن نقرأ أحداث هذه الحقبة التاريخية تجاهلها، ومعروف أن قبيلة الحموم تسيطر على مساحات واسعة شرقي السلطنة القعيطية ويمر طريق(الكاف) بمثاويها، وبالتالي يتعرض هذا الطريق للتقطع كلما ساءت العلاقات بين الطرفين. ولهذا لا يستبعد أن طريق رحلتنا الجديد يحمل في أحد أبعاده رسائل معينة للحموم، وفي رسالتنا للماجستير أوردنا إنشاء هذا الطريق ضمن أسباب ضاغطة دفعت الحموم إلى مهادنة السلطنة القعيطية على فرضية أن هذا الطريق سيحد من ضغط الحموم.

لم يذكر السلطان أسماء زملاء رحلته وقال بشكل عام : " أصحابي وأحبابي وخلاني " وسمى البعض حسب الوظيفة الجنود الطهاة الخدم. واكتفى بذكر أسماء من استلزم السياق ذكر أسمائهم مثل: القائد أحمد ناصر، ومنصب المشهد أحمد، وابن هادون ونظنه نفسه منصب المشهد. ولم يشر إلى لفظة العبيد الذين لعقود طويلة من تاريخ السلطنة مثلوا مع العشائر اليافعية ذراع السلطنة القوي، وقال (حاملي المحفة)، والموضوع يفتح الشهية للحديث المؤجل من قبلنا للحديث عن قصة العبيد في حضرموت ومكانتهم في هرم السلطة. وما نريد قوله في هذا المقام على سبيل الفائدة إن عام ١٩٤٠ شهد أكبر عملية تحرير للعبيد، إذ أعلن السلطان صالح تحرير جميع عبيد

السلطنة القعيطية. وتماشت هذه الخطوة مع سياسة التحديث للسلطنة القعيطية التي كان اللاعب الرئيس فيها المستشار البريطاني، ويبدو أن رحلتنا جاءت لاحقة لهذه الخطوة التحديثية لهذا تجنب السلطان ذكر لفظة العبيد.

وقد يدفع الفضول بعضكم كما دفعني ويبحث معي عن إنجرامس المستشار المشير، فالسلطان لم يذكره لا من قريب ولا من بعيد. وحقيقة الأمر لا يوجد لنا تفسير للأمر، ولكن فضولنا لن يهدأ...

يظهر لنا أن السلطان لم يكن يعنيه كثيرا أمر تدوين خط سير الرحلة وتفاصيلها وإن كان ظاهر الأمر كذلك، والدليل على ذلك أن عدد الأوراق التي دون فيها أخبار الرحلة فعليًا لا تزيد عن ربع الكتاب. لكن عقلية السلطان المتفتحة في الرحلة والكتاب تأبى إلا أن تكون قريبة من الزمان والمكان والناس (وطنه-أمته) لهذا نجده كثيرًا ما يترك ضيوفه على الورق، ويسرح بنا في تأملاته وملاحظاته وشارداته، وعندما يستعرض قضية علمية معقدة نجد السلطان لا ينبهر انبهار الجاهل بل يتداخل مع العلماء ولا يستعجل صدور الأحكام عندما لا تسعفه الأدلة وهو وان كان ولد وترعرع في حيدر أباد بالهند ويجيد عددًا من اللغات الأجنبية إلا أن ثقافته كما لاحظناها من الكتاب هي ثقافة عربية إسلامية بل هو شديد الاعتزاز بالحضارة العربية كما يسميها ولكن دون تعصب أو انحياز، ولا توجد لديه مشكلة مع العلماء من غير العرب والمسلمين وهو وإن عزا

الاختراعات والنظريات العلمية الحديثة لأصحابها لكنه لا ينسى أن يربط ذلك بما له علاقة وأسبقية عند العلماء العرب، ويشير في الكتاب لأسمائهم وعناوين كتبهم وفي هذا الصدد كتب : " وقد أعجبني إقدام السيد أبوبكر بن شهاب المفضال على دحض آراء العلامة تورشلي وباسكال وقد صنف رسالة أبدى رأيه فيها في الضغط سماها (رفع الخبط عن مسألة الضغط) وله فيها تعليلات حسنة في هذه النظرية المعضلة ولا أقول إنه أصاب أو أخطأ ولكن يجب أن يكون لرأيه وقع حسن بين الآراء".

وتطغى الدماء العربية حضاريًا على الدماء الهندية عند السلطان وقال مستطردًا عما سبق : " وقد ذكرت شيئًا عن مكتشفات أجدادنا العرب وبحثت عن معارفهم لتتجلى لأبنائهم فضائل أجدادهم". ويرفع السلطان صوته داعيًا للحداثة والعصرنة لعل العرب يسمعونه جميعًا وقال: " فيا إخواني إن آباءكم كانوا يجيدون جمع العلوم والفنون فعرفوا بمعارفهم الراقية ما كان لديهم مكتوب ومكنون وكان سر رقيهم معارفهم الراقية وسر انحطاطهم جهلهم عن العلوم العالية فاعلموا أن العلوم العصرية صارت ضرورة من ضرورات الحياة فهي لازمة للثقافة الدينية ولاستغلال الموارد الطبيعية وللمحافظة على صحة الشعب وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية فهلموا إلى اكتساب المعارف واتركوا الكسل واللهو" . لقد كتب السلطان على طريقة الشيء بالشيء يذكر أو كما قال بالنص : " ما يختلج في صدري من أفكار ونصائح لمصلحة العموم".

وتبين نداءات السلطان لأهل زمانه من العرب مدى إخلاصه في تحريك الناس نحو الحداثة ولكنه كان يعيش في وادٍ وأهل زمانه في وادي آخر. وفي اعتقادنا أن هذا النداء لا

يشبه الخطابات البطولية العربية التي يكتبها عادة المثقفون العرب ولا يفقهها حكامهم مع أنهم يرددونها ليلًا ونهارًا، بل نداءات السلطان غصات وأنات في صدره قالها في لحظة سكون وصفاء مع نفسه عل الناس يقرؤونها ويتعظون بها . وخطبة تولية السلطان التي ألقاها أمام أعيان حضرموت ووجهائها لم تقرا حتى الآن قراءة تاريخية متأنية.

والسلطان لا يخلط الأوراق عندما يتعامل مع وجهاء حضرموت وأعيانها فهو ينزل الناس منازلهم لكنه لا يجد حرجًا أن يبدي رأيه المتزن في ما يراه مغالاة في العادات والتقاليد وفي مشهد يدل على احترام السلطان لسادة حضرموت عندما كتب واصفًا الرحلة: "رحلنا إلى بلدة القويرة حتى وصلنا إليها فاستقبلنا وفد من السادة آل المحضار وحينما رأيتهم نزلت من محفتي إكرامًا وإجلالًا لهم" ولا يستطيع الدارس لتاريخ حضرموت المعاصر أن يفصل بين القعيطيين والمحاضير .ولا يذكر السلطان السادة في الكتاب إلا ويصبغ عليهم الألقاب التي يفضلونها كالسيد والحبيب والفاضل بل وزار أضرحة الأولياء والصالحين من السادة. ولأنه يحمل في داخله فكر العالم المصلح حرص على تنبيه سادة حضرموت ومشايخها إلى ضرورة الاهتمام بالتعليم الصحيح الذي يتناول أمور العقيدة الإسلامية وإحياء تعاليم الإسلام للارتقاء بالأمة حسب تعبيره. وانتقد تركيزهم وضياع وقتهم في المناقب والمواخذ والنشائد. ولام أهل حضرموت على انقسامهم في أمور فقهية لاتسمن ولا تغني من جوع حسب تعبيره أيضًا، كما انتقد تعلقهم بالتقاليد دون قراءة للموروث الثقافي ناصحًا إياهم بالقيام بدراسة علوم الطبيعة مبينًا أهمية هذه العلوم في فهم وإدراك قدرة الخالق. وانتقد السلطان نظام

التعليم بالأربطة وقال إنهم أي علماء الحضارمة قلّما يعتنون بكتاب الله وإنهم يقرؤونه قراءة سطحية ويحفظونه دون أن يعرفوا معانيه ويقفوا على مراميه وفي رأيه يجب أن تكون دراسة القرآن دراسة علمية محققة لأغراضه ومقاصده.

وصف السلطان فرحة الأهالي الغامرة بقدومه وصحبه وقال إن منهم من تسلق عقبة الجبل لاستقبالنا وإبداء سروره، وحيثما حل السلطان في قرى وبلدات دوعن كان الناس تتجمهر لتشبع فضولها، بينما تسابق الوجهاء لإبداء واجب الضيافة لسلطان البلاد ولم يسعف السلطان الوقت إلا لتلبية بعض الدعوات، ومن حق الجميع معرفة ماذا أكل السلطان في دوعن.. والعهدة على الراوي.

قبل النزول إلى بطن الوادي كان العشاء " عيش رقيق الحواشي والأطعمة المتخذة من لحوم المواشي" ... مصنعة باصرة "اللحم المقدد والعيش المعقد والرز المعيد والخمير المعهد والعسل المجمد" القويرة.... الغداء: "ما بين لحوم مشوية وأفراخ مقلية وعسل مصفى وخمير معجن بالروبة وكل ما يسمى في اصطلاحهم بالرطوبة..." الصبوح ": الصبوح والهريسة الدوعنية ..." الخريبة.. الغداء: " مدوا لنا سماط الضيافة وأحضروا الغداء ووضعوا فوقه جميع أقسام الأطعمة اللذيذة والأغذية النفيسة ما بين خلع مشوي ولحم مصلي ومضيرة لذيذة (لحم يطبخ باللبن الحامض) واطرية بالخيوط الدقيقة وأفراخ محشية وحلاوات مرضية وغيرها من الأطعمة الشهية"، وهذه وليمة السيد

حامد بن علوي البار . وفي بيت آخر من بيوت الخريبة (جنيد عبد القادر) لم يصله السلطان نتيجة لهطول الأمطار الغزيرة ولكن العشاء أرسل وتكون من : "هريس وعسل وعيش تميل النفس إليه وترتاح ."

وعطاء أهل دوعن لايقتصر على السلاطين والوجهاء فهم أهل كرم وخير للزائرين والعابرين، وأشاد السلطان بسكان دوعن بقوله " وقد جرت عادة عند أهل الخير من سكان دوعن أن يبنوا بيوتا صغيرة في الطرق للمأوى والمسكن ويحفروا فوق صخور الجبال مستودعات أو صهاريج لحفظ مياه الأمطار لترتوي من روائها الصوادي، وكثير من بادية دوعن يكتبون في وصاياهم أن تبنى بأسمائهم سرين (بيوت صغيرة) ونقاب راجين من المولى جزيل الثواب ....فهي مزية عظيمة لأهل دوعن جزاهم الله خيرا "

يدخل الكتاب في ما يعرف بأدب الرحلات، وأسلوب الكتابة سلس واضح العبارة إلا ما ندر، ومكتوب على طريقة الشيء بالشيء يذكر... إنه عين وشاهدت والتقطت ورصدت جانبًا ولو يسيرًا من حياة الناس في دوعن وهو بهذا، و في أحد أبعاده، يعد وثيقة تاريخية لعصره، يدخل القارئ في أول صفحات الكتاب في جو ابتهاجي فقد ظهرت نشوة السلطان من المفارقة التي تعمد ذكرها عندما صور خوف المهندسين وجزعهم قبل الشروع في العمل ثم مرحلة الإنجاز وأضفى أسلوبه السردي الذي يعتمد على السجع بعدًا جميلًا من ذلك قوله:

" ....آبو بعد ما تعبوا من وعورة النهوص وتسنم الجبال وحضروا إلي بقلوب وجلة ووجوه كالحة مكفهرة حيارى يميد بهم خوفهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا فقد انذعروا من اوطاد حضرموت الشواهق وأوتادها السوامق ...الخ"

في الختام لنقلب معًا لقطات السلطان المكتوبة ......

ومما قاله :

"فصلى بنا السيد منصب المشهد المشهور باسمه أحمد فكان تارة يقرع أسماعنا بزواجر عظاته وطورًا يضحكنا بلطائف نكاته"

قال السلطان:

" فنمنا براحة تامة حتى تمزق ستر الليل وتنفس الصبح ولاح وبلغ مسامعنا صوت حي على الفلاح".

قال السلطان:

"كان الوادي خصيب كأنه أكسي بديباج أخضر قشيب فلم نزل نمشي في نخيله الطوارف ونتمتع بجماله الطبيعي الذي يعجز عن وصفه الواصف "

قال السلطان:

" ولما ذر قرن الشمس وبرزت من حجابها وحسرت قناعها وكشفت جلبابها...... ترخصنا" - الأسلوب الحضرمي- وفي مكان آخر قال: حتى "حسرت الشمس القناع وأشعلت في الأفق الشعاع".

قال السلطان:

" فلما فرغنا من الصلاة رأينا طائرة النور قد رمت فيالق الظلام بقنابلها النورانية فدحرتها وكشفت عنا الغياهب الظلمانية ونهضت مليكة النهار من مضجعها فبدت لنا كأنها دينار أو جذوة من نار وحينما كشفت أستارها وألقت على الأرض أنوارها..."

❊ ❊ ❊

مذكرات عن مراحل النضال والتحرير

١٩٦٠ - ١٩٦٩م

هو عبدالقادر أحمد باكثير، من مواليد مدينة سيئون سنة١٩٣٩م. حصل على دبلوم مساعد صحي من المعهد الصحي بالمكلا عام ١٩٦٢م. عضو القيادة المحلية للجبهة القومية حضرموت. عين بعد استقلال الجنوب عام ١٩٦٧م مديرًا لمكتب الشؤون الاجتماعية والعمل بسيئون حتى عام ١٩٦٨م. انتقل إلى عدن وعين بالهيئة العامة للمياه مسؤولا عن مياه الريف ومكتب مشاريع الهيئة الإنمائية حتى عام١٩٩٠م، حاز على وسام الإخلاص في الثلاثين من نوفمبر. وفي متن الكتاب تفاصيل عن حياته ورحلاته.

تكمن أهميته الكتاب في كونه يتناول بالوثائق مرحلة مفصلية في تاريخ حضرموت المعاصر، والمؤلف لم يكن فقط شاهد عيان بل كان مؤثرًا وفاعلًا رئيسًا في أحداث تلك المدة التي تناولها. وإذا كان الكتاب يدخل في باب المذكرات الشخصية حسب عنوانه ومضمونه، فهذا أمر يجعل القارئ والباحث في حالة من الاستنفار الذهني والشك، وهو شعور عادةً يعتري القارئ الفطن عند الرجوع لكتب السيرة الشخصية، أو

المذكرات، ونأمل من عرض هذا الكتاب تشجيع المؤثرين في مجتمعاتهم على نشر ما بحوزتهم من وثائق وتسجيل مواقفهم وشهاداتهم وآرائهم لما يشكله ذلك من دعامة تسند الباحثين والمؤرخين عند الوقفات والقراءات المتجددة لمراحل التاريخ.

وعلى أية حال فإن المؤلف لم يكن يبحث عن أمجاد أو يدعي بطولات شخصية أو يتعمد الإساءة لمن أساء إليه أو يصفي حسابات دفينة، بل كان يريد أن يقول الرواية الصحيحة حسب علمه وفهمه، الأمر الذي يبعث الاحترام للمؤلف. وفي هذه الإطلالة لا أريد الدخول في تفاصيل ما ذكره المؤلف، وآثرت أن يكون عرضي عبارة عن ملاحظات تسجّل ما أرى أنه مفيد وقابل للنقاش.

ينقسم الكتاب إلى أربعة فصول، ثلاثة فصول رئيسة والفصل الرابع خصصه للملاحق. في الفصل الأول الذي أسماه مرحلة اليقظة والنهوض والتأسيس من ١٩٦٠-١٩٦٣م تناول فيه الكاتب لمحات عن حركة القوميين العرب ونشوئها وأفكارها ومشاريعها ونضالاتها المبكرة والحراك الاجتماعي والحزبي في الجنوب ولاسيما في حضرموت مستعرضًا جانبًا من سيرته الشخصية التي لا تختلف عن سيرة المئات من الشباب المشبع بالأفكار القومية والمتحفز للحرية والمستقبل الجميل. وذكر الفصل جوانب من الأنشطة الاقتصادية التعاونية والجدل السياسي بين التيارات السياسية التي تمور بها الساحة الوطنية وقتئذ . أما الفصل الثاني الذي عنونه(رحلة النضال والثورة) فتناول

فيه قيام الجبهة القومية وتغلغلها في أوساط العمال والفلاحين والأندية الثقافية والعمل الجماهيري المنظم ومراحل الاستعداد للكفاح المسلح في حضرموت من خلال استعراضه لبرامج التدريب السري وأماكن خزن الأسلحة.

ويتناول الفصل الثالث قصة سقوط السلطنتين مع ذكره لتفاصيل جديدة لقصة سقوط السلطنة الكثيرية بوصفه من رجال الصف الأول للجبهة القومية في وادي حضرموت الذين أسهموا في هذا السقوط، وهو فصل مهم وماتع. ويختتم الجزء الأول بذكر جانب من مآسي الصراعات بين رفاق النضال مبينًا المقدمات والنتائج.

معروف أن هناك مميزات خاصة لكتب المذكرات الشخصية، فغالبًا ما تؤثر تداعيات الأفكار على وحدة الموضوع وزمانه، كما أن معظم كتّاب المذكرات رغم مكانة البعض منهم المهمة في المجتمع أو صفاتهم الاعتبارية إلا أن الكثير منهم يعاني من معضلة الكتابة، لهذا غالبًا ما تجد أكثرهم يستعين بكتاب محترفين لكتابة هذه المذكرات وحسب استنتاجي فإن هذه المذكرات كتبت بروح المؤلف، وقد لاحظت أمورًا شكلية وبسيطة من الممكن تلافيها. فعلى سبيل المثال نجد بعد المقدمة التي كتبها المؤرخ جعفر محمد السقاف عنوانًا جديدًا يبدأ بالبسملة ثم العنوان التالي لمحات من تاريخ شعبنا في حضرموت خلال العقود الماضية، وبعد ذلك يبدأ عنوان الفصل الأول، ثم يصدم القارئ بصفحة الإهداء وهي المفروض أن تكون أول الكتاب ولا بأس من البسملة في

صفحة مستقلة وليس بعد عنوان رئيسي .وبعد الإهداء تأتي توطئة للكتاب كله وليس للفصل الأول، ومن خلال قراءتها أي التوطئة- تتضح بأنها أصلًا مقدمة الكتاب ولا بأس من مقدمة السقاف أن تتحول إلى تقديم . ثم بعد التوطئة نفاجأ بعنوان مجرد وهو التمهيد وبالرجوع إلى المحتويات أضيف إلى كلمة تمهيد نبذة عن حياة الكاتب ورحلاته وكان الأجدر أن يتحول هذا العنوان الدال إلى المتن، وهذا الخلط لا شك يخلق نوعًا من الإرباك عند القارئ.

كما أن العنوان الذي يشير إلى لمحات من تاريخ النضال خلال العقود الماضية لا يتناسب مع المادة المكتوبة فالعقود لا تتجاوز القرن من الزمان، بينما شيخنا وأستاذنا يتناول نضالات الحضارمة ضد الأمويين قبل أربعة عشر قرنًا والبرتغاليين قبل خمسة قرون ثم يشير للنضالات في القرن العشرين. فلو تغيرت كلمة العقود إلى العهود لكان ذلك أقرب إلى الصواب.

رغم التوفيق في اختيار الكاتب لعناوين الفصول فإننا نرى أنها ستكون أوضح لو أعيد صياغتها وترتيبها على سبيل المثال عنوان الفصل الثاني (الفترة من ١٩٦٤-١٩٦٧م حتى استيلاء الجبهة القومية ورحلتنا النضال والثورة. ولو اكتفى العنوان بالآتي لكفى (رحلتنا النضال والثورة ١٩٦٤م- ١٩٦٧).

وما يثير الإعجاب ويفتح الشهية للكلام الإهداء الجميل والإنساني من المؤلف إلى زملائه الذي نصه (إلى الأبطال المجهولين الذين صنعوا التاريخ ثم قسا عليهم من كتب

التاريخ، أهدي هذه المذكرات) ويختزل هذا الإهداء الرائع فكرة المذكرات كلها.. لا أريد أن أدافع عن التاريخ وأهله ونرى أن كل ما يكتب عن مرحلة التحرير لا يخرج أصلا عن دائرة التوثيق أو التدوين التاريخي، وأن الوقت ما يزال مبكرًا لكتابة تاريخ شامل لهذه المرحلة. وكتابة المذكرات تمد المؤرخ بالمادة الأولية ولكنها ليست بالضرورة الحقيقة التاريخية، وكان المؤلف واعيًا لهذه الحقيقة عندما أشار في أكثر من مناسبة إلى أن ما يكتبه للتاريخ أي للكتابة التاريخية التي هي صنعة المؤرخ وتتضح تلك الرؤية في ص٥٩ عندما قال:

"والذي تعمدت ضمه إلى مذكراتي حتى يتبين للمختصين في كتابة تاريخ المنطقة والثورة أن يقوموا بتحليل خصائص هذه الفترة ومدلولاتها "، والمؤرخون ممتنون لكل من كتب مذكراته وممتنون أكثر لكل من دعم كتاباته بالوثائق التاريخية. وتظل ضالة المؤرخ الجاد وحكمته مدفونة وسط أكوام الروايات المتعددة، ولا بد أنه سيجدها بعد أن يدخلها في غربال التاريخ ومنظاره الواسع....

صحيح أن هناك محاولات لكتابة تاريخ هذه المرحلة وصحيح أن من كتبها تعمد إسقاط المراحل وأدوار الآخرين ولكن ليكتب الناس ما يشاءون بل وما أسهل أن يكتب هذه الأيام أشياء تسمى زورًا تاريخًا أو غيره ولكن يظل لا يصح إلا الصحيح، وبعودة إلى الإهداء نقول لمؤلف الكتاب: لقد كنت قاسيًا على التاريخ وحملته أكثر مما يحتمل فزملاؤك من الأبطال المجهولين قبل أن ينساهم التاريخ ويظلمهم فقد ظلمهم

إخوانهم واستبعدوا البعض ليس من دائرة التاريخ حسب بل من دائرة الحياة كلها وكانوا قد حلموا أحلامًا واحدة وشربوا من إناء واحد.

وما يميز هذه المذكرات الأمانة في الطرح والشجاعة، فالمؤلف كتب عن دوره البسيط في الأحداث بصدق وتواضع ولا تثير رواياته الشبهات لأنه لم يصطنع لنفسه عنتريات ومواقف خارقة، وعبر عن كل ما يؤمن به في وقته ولم يظهر الندم على مواقف كان وما يزال يظنها لصالح الشعب في حضرموت والجنوب. وحتى عندما ذكر تجاوزات البعض أمثال فيصل العطاس ذكرها في سياق تاريخي معروف ومشهود والموضوعية هي قول الحقيقة مهما كانت مرارتها.

ويتحدث باكثير عن مناضلين مثل علي سالم البيض وحيدر العطاس بكل صدق دون أن يلتفت لغضب اللحظة الراهنة عليهم، ففي صفحة ٤٢ يقول في مظاهرة شاهدها سنة ١٩٦١م في المكلا تندد بانفصال سوريا عن مصر خطب في هذه المظاهرة كل من الإخوة حيدر العطاس أمام القصر السلطاني وعلي سالم البيض أمام المستشارية بالمكلا وأحمد عوض باوزير أمام السكرتارية بالمكلا وقال: "وألهبت خطبهم الجماهير".

ولا يذكر المؤلف اسم زميل من زملائه إلا ويسبقه لفظة الأخ مما يعني أنه تحرر إلى حد ما من أهواء العواطف وآلام السنين، ولعله أراد ان يكتب شهادته للتاريخ بعيدًا عن هذه النوازع والمؤثرات، وتشير المذكرات إلى جوانب إيجابية تميزت بها طفرة الستينيات في الجوانب التعليمية والاقتصادية، ويتحدث عن الحراك السياسي والاجتماعي والشركات المساهمة والتعاونيات الزراعية. كان الفعل الأهلي الطوعي الواعي هو

البطل المميز لهذه المرحلة، وكان المجتمع في حضرموت مهيأً لقفزات كبيرة وكان على الثوار أن يبنوا على ما هو إيجابي، ولكن في زحمة السلطة وبريقها وفورة الشباب وتداخل حلمهم مع طيشهم ضاعت فرص كثيرة خسر فيها الشعب الكثير وكسب القليل.

تبرز هذه المذكرات الحس الوثائقي العالي عند (المناضل) باكثير وذلك من خلال احتفاظه برسائله الشخصية لاسيما التي تتحدث عن الشأن الوطني، وكذا حرصه على كتابة يومياته واحتفاظه بالمنشورات والصحف والبيانات واللوائح المنظمة للمؤسسات الاجتماعية، فخطا بالمذكرات خطوات متقدمة نحو الكتابة التوثيقية الواعية. ومما يلفت النظر إبراز المذكرات للدور الوطني الذي اضطلعت به صحيفة (الطليعة) المكلاوية وتغطيتها لأحداث تلك المرحلة. وبالاطلاع على النماذج التي أوردها باكثير والتي نشرت في (الطليعة) تتضح أمور كثيرة عن مجالات الحريات وشجاعة الطرح والتفاعل مع القضايا العربية والقومية ولفظة "شعبنا في مصر" أو "شعبنا في سوريا" كانت من المصطلحات التي تعبر عن مدى الإيمان بالوحدة العربية، حلم شباب الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

والمؤلف لم يتجاهل مصطلحات ذلك العصر بل، أحيانًا نجده ينادي عبر الكلمات رفاقه أيام زمان، ويخطب فيهم بكلمات والفاظ تلك المرحلة كقوله: الفئات الرجعية، الثورة المضادة، الشباب الواعي المثقف، رغبة الجماهير الكادحة الاستقلال الوطني، الناجز الحرية والكرامة. ويدخلنا الكتاب في تناقضات الصراعات العربية وتياراتها القومية والوطنية ويظهر مدى مساحة الخلافات بينها وما تتربص به كل فئة بالأخرى

وانتقال ذلك إلى حضرموت بوصف الأحزاب فروعًا من أحزاب قومية عربية وجنوبية، وخلقت هذه الأجواء ثقافة الشك والشللية وخرجت هذه الثقافة من إطار الخصومات مع التيارات الحزبية المغايرة إلى أصحاب التيار الواحد.

وهذا ما حدث مع رجال الجبهة القومية فسادت ثقافة الإقصاء والقتل وأورد لنا باكثير أمثلة بسيطة على ذلك، وهذه الثقافة على حسب فهمنا مثلت بداية متعثرة للدولة الجديدة الفتية ذات الأهداف الوطنية البعيدة، وتقسم الرفاق إلى يميني ويساري وانتهازي وزمرة وطغمة، والقائمة تطول، وما أسهل التهم بلا دليل. ومرة أخرى كان الخاسر الوحيد هو الشعب في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الذي يقول الجميع إنه يعمل ويضحي من أجله.

يشير المؤلف إلى دور غامض للمرحوم عبد الله الأشطل ويعزو إليه بداية الانقسام في صفوف الجبهة القومية في حضرموت بعد أن جهر بالخط الماركسي للجبهة القومية وتبنى له بعض الأطراف الحضرمية. إن دور الأشطل في حضرموت يحتاج إلى روايات متعددة حتى يتسنى الحكم الموضوعي عليه.

لقد ذكر المؤلف الكثير من القضايا الساخنة وتطرق لذكر أدوار بعضها يسير وبعضها كبير لأشخاص يكادون أن يكونوا مجهولين بالنسبة للجيل الحاضر. على أن روايته لتفاصيل سقوط السلطنة الكثيرية ١٩٦٧م وما تلاها مباشرة من أحداث تحتل الجانب الأبرز للكتاب، ولا شك أن القراءة الواعية لكل روايات هذا المشهد التاريخي المهم ستسهم في إدراك ملابسات الأحداث التاريخية وبالتالي الحكم عليها.

الشهداء السبعة

هذا المقال ليس دفاعًا عن المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف من تهم طرحت في حياته همسًا ، وجهرًا بعد غيابه، وكان الأجدر بها أن تظهر سافرة في حياة الرجل إذا كان غرض أصحابها الوحيد هو الحقيقة. صحيح أن التاريخ لا يؤمن بسقوط الدعاوى بتقادم الزمان بل إن الزمن لعبته، ويراهن في أغلب الأحيان عليه لكشف الحقائق. والتساؤل المطروح هو: ما التهمة؟ وأين الحقيقة؟

بخصوص موضوع المقال، فإن التهمة تكمن في شكِّ البعض في صحة قصة كتاب (الشهداء السبعة)، وعدّوها من نسج خيال بامطرف، ويعزز أصحاب هذه التهمة رأيهم بأن كتاب بامطرف اعتمد في قصته على مخطوطتين في مجلد واحد يدعي بامطرف أنهما فقدتا بعد كتابة مسودة الكتاب (الشهداء السبعة). أما المخطوطتان فهما حسب رواية بامطرف: " بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر" لمؤلفه المؤرخ الملاح الربان سالم بن عوض باسباع. والمخطوط الآخر (زاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن ومالابار) لمؤلفه الأديب الشاعر الشعبي سعيد بن علي بن سعد بامعيبد. ويقول أصحاب هذا الرأي إنه لا يعقل أن تكون نسخة واحدة لهاتين المخطوطتين إن وجدت كما أن بعض المعلومات التي يزعم أنه أخذها من المخطوطتين لا توجد في أي مصدر آخر بحيث تتم المقارنة وكشف النصوص.

ويذهب الشك بالبعض مذهبًا بعيدًا عندما يقال إن بامطرف ربما أخذ شيئًا من هاتين المخطوطتين ثم حوّر ما شاء له أن يحور وتعمد إخفاء المخطوطتين لتموت الحقيقة. وهكذا تيراوح الشك عند أصحاب هذا المنحى حينًا ويشتد حينًا ليصل إلى القول بالتزوير. قال الأستاذ عبدالله محمد الحبشي في مقدمة الكتاب الذي قدمه (للطبع) الموسوم: (تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر) تأليف عبدالله بن محمد باسنجلة أو (باسخلة) ما يأتي : " وقد ذكر شيخنا الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف كتابين في تاريخ الشحر هما : زاد الأسفار....وبهجة السمر .....وفي نفسي شيء من حقيقة هذين الكتابين ووجودهما ".

وإذا سلمنا بأن الشك رائد حكمة المؤرخ وسمة لازمة لصفاته لكنه ليس منهجًا صارمًا لاستنتاجاته. وهنا سأحاول الابتعاد عن الافتراضات المسبقة الإيجابية التي أحملها للمؤرخ بامطرف وشخصيته، وسأحصر هدفي في معرفة الحقيقة أو ما يقرب إليها.

يقول من يهمسون إن بامطرف كتب هذا الكتاب استرضاءً لجهات معينة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي عدّته في أول الأمر رجلًا من رجال العهد القديم بل لقد سُجِن وأوذي في زخم الثورة، ولهذا وبحسب أصحاب هذا الرأي (الاتهام) فإن بامطرف أراد أن يبعد عن نفسه التهمة الجاهزة، في عصر لا يعرف المناطق الرمادية، ويثبت أنه مع خط الثورة والمقاومة والتحرير عسى عين الثوار ترضى عنه وتعده من أصدقائها ومناصريها.

ومن هذا الفريق من يعطي بعدا آخر للقصة ويقول إن بامطرف مؤرخ وأديب فهو يحمل في داخله خيالات الأديب وعشقًا خاصًا لمدينته الشحر، الأمر الذي جعله يبرع في نسج قصة الشهداء السبعة بحيث مزج بين الحقيقة والخيال ليكون له مجد السبق لكتابة هذه الحادثة التي تناثرت أخبارها في صفحات الزمن ولم يبق منها إلا إشارات متناثرة. وكيفما كان القول فإن التهمة أبعد من مجرد قصة بين حقيقة وخيال. إنها قضية وجود بامطرف الكاتب المفكر من عدمه، فإذا كان في الحياة شيء سهل فلا أسهل من التهم بلا دليل.

إن الحقيقة والخيال في الدراسات التاريخية ليسا كيانين منفصلين فالحقيقة تحتاج إلى قليل من الخيال حتى تكتمل الصورة، والخيال إذا ارتكز على حقائق يخصب في المكان المجدب. والكتابة التاريخية لا تعادي الخيال كل الخيال بل تتوق إلى خيال المؤرخ المستند إلى قاعدة معرفية أصيلة ليسترد من الزمن ما شاء الله له أن يسترد من مشهد الحدث.

ولا شك أن بامطرف ينزع أحيانًا إلى أسلوب الخيال في مؤلفاته التاريخية، ولكن في خياله العلمي الرصين يدور مع أبطال التاريخ لتوضيح الحدث دون أن يمسه بسوء.

وعودة إلى التساؤل أين الحقيقة؟

هل كنت يا بامطرف تحمي نفسك على حساب التاريخ؟ هل كنت تبحث عن مجد شخصي على حساب الحقيقة؟

المعني بالإجابة غير موجود وفي ذمة الله، ولكن التساؤلات ارتدت إلى تلميذه وأستاذنا المؤرخ عبدالرحمن الملاحي..وبعد أن عبر عن ألمه وغضبه من مثل هذه الأطروحات قال

إنه يعرف بامطرف عاشقًا للحقيقة متابعًا للتفاصيل لا يستعجل إصدار الأحكام ونفى نفيًا قاطعًا هذه التهم وأكد أن أسرتَي صاحبَي المخطوطتين معروفتان في الشحر ومن أفرادهما من هم أهل علم وخبرة ، وهو- أي بامطرف - لا يبحث عن مجد شخصي من هذا الكتاب ولن يضيف له شيئًا وهو السياسي اللامع والكاتب الشهير والمؤرخ المعروف. ويضيف الأستاذ الملاحي أن رواية اختفاء المخطوطتين من بيته صحيحة وفي مقدمة الكتاب أشار إليها بامطرف وذكر اسم الشيخ عمر بن عبود الشحري الذي أعطاه المخطوطتين وهو شخص معروف ظنًا منه أن مكتبته هي المكان الوحيد الآمن، ولكن جرت الرياح بما لم تشتهِ (السفن)، وقد فقد بامطرف لأسباب معروفة وغير معروفة بعضًا من مؤلفاته المخطوطة في زمن ثوري مارس هذا الفعل في بيوتات علمية متعددة وهو أمر مشهور على الساحة الثقافية في بداية الحكم الجمهوري في الجنوب، ومنطق الأشياء يؤكد رواية الضياع.

ومن جانب آخر يؤكد المؤرخ عبد الله صالح حداد وآخرون أن المسودات الأولية لكتاب (الشهداء السبعة) كتبت قبل العهد الثوري، وأن روح المؤرخ الذي يحمله بامطرف كان دافعه الوحيد لتتبع قصة الشهداء السبعة مثله مثل مؤلفاته وكتاباته التاريخية، وهذا أمر يدفع عن بامطرف تهمة استرضاء الدولة.

ويضيف من يضيف أن الأستاذ الحبشي سبق وأن سخر وقلل من كتاب (الجامع) لبامطرف بأسلوب لاذع، ورد عليه المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف في مجلة (آفاق) الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين/ حضرموت في قصة معروفة، ولأنه – أي الحبشي–

لم يعزز رأيه أو ما في صدره بدليل علمي من كتاب (الشهداء السبعة) لبامطرف فربما مشكلة الأستاذ الحبشي التي في صدره مع بامطرف الشخص وليس مع كتاب بامطرف. لقد دفعنا هذا الموضوع إلى إعادة قراءة كتاب (الشهداء السبعة) وكذا المؤلفات التي تناولت أحداث القرن العاشر وهو عصر تلك القصة وأولئك الشهداء الأبطال، وقد اتضح لنا وبشكل عام الآتي:

إن الكتاب في طبعته الثانية يتكون من ١٣٩ صفحة من القطع المتوسط، والصفحات الأساسية التي تطرق فيها إلى قصة المقاومة لا تتجاوز عشرين صفحة (من صفحة ٨٣ -١٠٢) والكتاب في جوهره تاريخ لمدينة الشحر في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، الذي تميز بالانقلاب الاقتصادي والسياسي الذي أحدثته حركة الكشوف الجغرافية والوجود البرتغالي في السواحل العربية الجنوبية، وتأثير ذلك على السلطنة الكثيرية الأولى في عهد سلطانها بدر بن عبد الله الكثيري (بو طويرق)، ثم تبعات ذلك ونتائجه على مدينة الشحر ميناء حضرموت الأول.

وقد غطت هذه الأحداث عدة مؤلفات لم يحددها في فهرسة مستقلة، فهو كعادته لا يميل إلى توثيق معلوماته بتفاصيلها في الهوامش وفق المنهج التاريخي الحديث ولكنه ضمنها في الحواشي والهوامش التي وصلت إلى ١٤٠ ذكر فيها المصادر والمراجع التي عاد إليها، كما زخرت الحواشي بتفاصيل مفيدة لكثير من المعاني والمصطلحات والمعلومات التاريخية التي أضفت قيمة أخرى على الكتاب وما تضمنه.

صحيح أن المخطوطتين موضوع الجدل مثلتا حجر الزاوية في رواية الكتاب، ولكن القصة ارتبطت بمعلومات وردت في مصادر أخرى منشورة وبعضها يستند إلى مصادر أجنبية (برتغالية وإجليزية). وكان من الطبيعي أن يعتمد بامطرف على مصادر عاصرت الحدث مثل مخطوطتي باسباع (توفي ٩٥٠هـ) أو بامعيبد اللتين اعتمدتا على مصادر مهمة معروفة. وما تضمنته تفاصيل هاتين المخطوطتين قربت الرواية إلى روح العصر ولكنها لم تكن معزولة كليًا عن المصادر الأخرى التي تعود إلى القرن العاشر الهجري، وهذا يضعف رواية الشك في مصادر بامطرف ويجعلنا لا نميل إليها.

* * *

على طريق الوعي

على طريق الاشتغال بالمجال الثقافي الشائك حينًا والشائق في أحايين كثيرة، كانت معظم لقاءاتي مع الصديق العزيز نجيب سعيد باوزير، وكانت نقطة البداية نحو طريق الوعي من مجلة (الفكر) الصادرة عن جمعية أصدقاء المؤرخ سعيد عوض باوزير، عندما طلب مني أبو سعيد - كما يحلو له أن أناديه - المساهمة بالكتابة فيها، وظللنا في الطريق ذات الطريق لم نتزحزح عنه قيد أنملة. ربما تتغير المسافات بحسب مشاغل الحياة التي لا تنتهي، وكانت الفرصة الرائعة لالتحامنا جاءت من مساهمتنا المشتركة – مع أصدقاء آخرين - في إخراج ثلاثية عمِّه الأستاذ القدير أحمد عوض باوزير (يرحمه الله)، وهي: عموده في صحيفة (الطليعة)، ومقالاته في الصحف العدنية، ثم مقالاته وحواراته واستطلاعاته في صحيفة (الطليعة)، وبهذا ساعدني الحظ أن أكون قريبًا من الوزيرين بروحيهما الحاضرتين الغائبتين. وفي الحقيقة كان مشوارًا ثريًا لاسيما عندما تهيأت الفرصة لقراءة معظم - إن لم يكن كل – ما كتبه الراحل أحمد عوض باوزير، واستمر المشوار.

في مكتب مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مكث أبو سعيد غير بعيد إلى أن ألقى إليّ كتابه الجديد بعنوان: (على طريق الوعي.. مقالات كتبت

---

* مقال نشر في مجلة المكلا العدد (٣١) تصدر عن مكتب وزارة الثقافة بمحافظة حضرموت، بعنوان: (نجيب باوزير.. عندما يتكلم الكبار في شؤون الوطن).

خلال الأعوام ٢٠١٣-٢٠١٩م) لأقوم بقراءته، فخطر لي أول ما خطر من العنوان مكاني القريب في مشوار نجيب باوزير الطويل، وهو يمضي بثقة وإخلاص لتأصيل الوعي وتذكير الناس وتنويرهم للحياة الحرة السعيدة، ولم يخب ظني في كتابه الجميل وعرضه الكريم، وقلت في نفسي إنه من نجيب، ثم التهمته بعد أن سميت: بسم الله الرحمن الرحيم.

والكتاب بأبوابه التسعة يمثل كتلة واحدة مزج فيها المؤلف بين الحاضر والماضي، وبين الحنين والأنين، وبين الخاص والعام، وحتى ما قد يبدو من تباعد في بعض أبوابه فإن نجيبًا استطاع الإمساك بفكرة الكتاب الأساسية وصار العنوان هو الكتاب كله أو لعل الكتاب مضى بوعي في خطى العنوان. وسيجد القارئ في مشاوير نجيب المثقلة بهم المجتمع ومستقبل الوطن الدعوة للتفكير العميق واحترام حرية الرأي ومناقشة القضايا الساخنة، كما سيجد القارئ التجربة الشخصية، هناك حيث مدينة غيل باوزير وريادتها التعليمية تحت الزعامة السودانية، وسيكتشف الغيل الظريفة وحكايات سالمين حسين الحضرمي معشوقة الجميع. وفي الطريق مع نجيب لن يبخل عليك بحكاياته ومشاهداته في أوربا (الفكر والأدب) من هناك حيث مسقط رأس شيكسبير إلى عمق ملاحم الإغريق وأساطيرهم، ويستمر المشوار.

.. في طريق ليست مفروشة بالورد وفي عالم افتراضي بلا حسيب ولا رقيب تتداخل فيه الاتجاهات وتتصارع الرؤى، وتتنوع فيه الانتماءات، وتتعدد المشارب، يخوض نجيب بقلمه الرشيق وبرصانته المعروفة في القضايا السياسية الساخنة، بمقالات تشبهه

في قناعاته وتكوينه الثقافي والفكري والديني فتجده مع ثورات الربيع العربي وتطلعات الشعوب نحو الحرية والكرامة، فتنساب كلماته من وحي ضميره الذي يجعله يصطف مع حق المظلومين والمقهورين وما أكثرهم في عالمنا العربي.

وفي هذه المقالات التي تنشد تعزيز الوعي المجتمعي، تجد باوزير يصطحب تارة معه والده المؤرخ سعيد باوزير وتارة عمه الصحفي أحمد باوزير ويستشهد بهما في قضايا قديمة جديدة تتعلق بعلاقة حضرموت بالجنوب واليمن وتصارع خيارات الحضارمة في مشهد خاض فيه المثقفون الحضارمة في ستينيات القرن الماضي أكثر مما يخوض الناس في هذه الأيام، وذلك باقتباسات من صحافة تلك المرحلة وهي أقرب إلى الإضاءات ودمج العصور بهدف تنشيط ذاكرة الناس والشعوب الحية، أو بالأحرى إذا أرادت الحياة، فلا بد أن تعبد طريقها على ما هو صالح مما شيدته الأجيال السابقة وحاولت ترسيخه. لهذا نجد المؤلف يصطحب معه في رحلة الوعي قامات كبيرة مثل المؤرخ صالح باصرة، والأستاذ السوداني محمد طه الدقيل، وليلى إنجرامز، وحسن بن قاسم، والشعراء أحمد سالم البيض ومحمد عبده غانم وعلي محمد لقمان، بل و لا ينسى الدعاة في الغيل وهما الشيخان عوض بانجار وعلي باوزير. إنها رحلة ماتعة أثرت في تجربة نجيب الشخصية واستطاع رصدها بعين الأديب الفطن، ثم ها هو يستلهمها ويعيدها طرية في إناء مصنوع من دمه ولحمه، ومعطر بروحه الجميلة الجادة الصافية كصفاء ماء غيل باوزير، وهكذا عكست المقالات نموذجًا للمثقف العضوي المنفتح على عصره، وهو ما يمثله بحق الصديق نجيب باوزير.

الكتاب يستحق القراءة، ربما يختلف الناس مع المؤلف في بعض اجتهاداته بخاصة المقالات السياسية، لكن القارئ المنصف لن يجد غضاضة في تنوع الأطروحات واختلاف وجهات النظر لاسيما أن الكاتب عبر عن كل ما يجيش في صدره من قضايا عصره بكل شفافية وشجاعة، ولم يدّعِ احتكار الحقيقة، بل كان ينتقد من يرى أن الحقيقة كل الحقيقة في جانبه. وإذا كانت الفكرة بنت البحث فإن استمرارها وحيويتها في تداخلها مع غيرها، وهو ما ينتج عنه البيئة الصالحة للانطلاق وبناء المجتمع المنشود، وبعيدًا عن الكلام العمومي فإنني أرى في بعض إشارات الكتاب ما يعبر عن قناعاتي الخاصة، وكنت هممت في كتابتها لكن سبقني إليها المؤلف، لهذا يحق لي بصك الصداقة أن أقول يا نجيب: "ليس قلمك الذي كتبها إنما هو قلمي أنا ".

وبقيت إشارة أخيرة تدخل في باب الاجتهاد الشخصي وهي: أن رحلة القارئ مع هذا الكتاب لن تنتهي بآخر صفحة من صفحاته فما يزال المشوار طويلًا، ثم إن المؤلف ليس وحده في الطريق، وفرصة الوصول إلى لحظة الوعي في مجتمعاتنا العربية ما تزال بعيدة المنال ولا خيار أمام الذين يحملون رسالة الوعي من المصلحين وحملة الفكر المستنير إلا التقارب والتلاحم. ومع هذا سأستمر أدعو الله العلي العظيم أن تأتي هذه اللحظة قبل أن أقوم من مقامي هذا أو قبل أن يرتد إليّ طرفي إنه على كل شيء قدير.

* * *

تاريخ حضرموت

للمؤرخ صالح علي الحامد

ازدهرت حركة التأليف التاريخي في حضرموت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وذلك بظهور عدد من المؤلفات التاريخية التي تناولت التاريخ المحلي لحضرموت بطريقة الحوليات أو بتراجم وفيات الأعيان أو بالتأريخ للمدن، وهي في ذلك تحاكي المدرسة التاريخية الإسلامية. وقد امتدت هذه الطريقة التقليدية في الكتابة التاريخية في حضرموت إلى النصف الأول من القرن العشرين، ومما ساعد على شيوعها، وامتدادها الطويل، وحدة المرجعية الثقافية واتساقها بين المتقدمين والمتأخرين.

وإذا تتبعنا توقيت كتابة الحامد لمؤلفه الوحيد في حقل التاريخ – وهو مجال يختلف عمّا اشتهر به من الإنتاج الأدبي الإبداعي - نجد مؤلفه جاء لاحقًا لكتاب صلاح البكري اليافعي الموسوم: (تاريخ حضرموت السياسي) الصادر في عام ١٩٣٦م، وقد اتخذ البكري لنفسه منحى مغايرًا لما هو سائد من الأدبيات الثقافية في حضرموت. إذ مس بأسلوبه الحاد بعض القضايا التاريخية المتواترة التي كانت بمنأى عن المناقشة التاريخية، ولا نريد الخوض في الظرف التاريخي الذي ظهر فيه كتاب البكري، وما نود الإشارة إليه أن قيمة كتاب البكري ليس في القضايا المطروحة التي أثارها فحسب، إنما في تحفيزه

* مجلة شعاع الأمل العدد ١٤٧ يوليو ٢٠١٤م.

لكتابة تاريخ حضرموت بأساليب حاولت تجاوز نمطية الكتابة التاريخية القديمة، وإن اتسم البعض منها بالدوران حول الروايات التاريخية القديمة الشائكة، أو بالمراوحة عندها. ومن هؤلاء المؤلفين الذين ترسموا خطى البكري على سبيل المثال: علوي بن طاهر الحداد ومحمد بن هاشم وعبد الله بن حسن بلفقيه والأديب والمؤرخ صالح علي الحامد الذي نحن بصدد ذكر وقفات من تاريخه. وعلى أية حال فإن هذه المؤلفات التي ظهرت في العقدين الخامس والسادس من القرن الميلادي الماضي وبصرف النظر عن وجهات النظر المتباينة في محتواها فإنها أسهمت في حركة التدوين التاريخي، ويمكن أن نصفها من حيث المنهج الذي اتبعه أصحابها بالمرحلة الانتقالية التي جمعت بصورة متفاوتة بين أسلوبي الكتابة التقليدية والحديثة.

وبالنسبة لكتاب الحامد فإنه يصنف في إطار كتب التاريخ العامة، وقد سار على منواله المؤرخ محمد أحمد الشاطري في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي)، وهذا التناول الأفقي في الكتابة التاريخية يقرب هذه المؤلفات إلى الكتب الموسوعية ذات الموضوعات المتعددة التي تتخذ عادة من حقب التاريخ المتباعدة مجالًا واسعًا تخوض في تفاصيلها وهو أمر تتجنبه المناهج التاريخية الحديثة.

وتتداخل في كتاب الحامد الخصائص الحديثة في الكتابة التاريخية -من حيث التبويب والنقد التاريخي العلمي- مع الأساليب القديمة، فنجده يختتم استعراضه لمرحلة تاريخية معينة بذكر الحوادث التاريخية وسنوات وقوعها تحت عنوان (حوادث وأخبار مرتبة

على السنين)، كما أنه يفرد في كتابه تراجم لبعض الشخصيات الاعتبارية، وهي مرحلة لم يستطع الحامد الفكاك منها.

ومن جانب آخر يجد القارئ في هذا الكتاب فائدة كبيرة تتجلى في غزارة معلوماته، في ما اتسم به من الاستشهادات والتعليقات المتناثرة في متنه وهوامشه بغرض تأكيد الاستنتاجات التي توصل إليها، ولتيسير استرداد مشهد التحولات التاريخية وتقريبها إلى ذهن القارئ، ولهذا حرص المؤلف على تقديم لوحة عامة للتطورات التاريخية في حضرموت منذ فجر الإسلام إلى بداية القرن العاشر الهجري مع تمهيد لتاريخ حضرموت قبل البعثة المحمدية (على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم). ويبدو أن المستشرق البريطاني (سارجنت) قد اطلع على مسودات الكتاب قبل طباعته بمدة (الكتاب طبع عام ١٩٦٨م)، وفي كتابه (حول مصادر التاريخ الحضرمي) وصف (سارجنت) أسلوب الحامد: "بالقوة المنهجية العلمية" كما أشار إلى أنه وجد الكتاب : "عملًا ذا ميزة، وحديثًا في نهجه وأسلوبه".

أما مؤرخنا الحامد فقد حدد دوافعه في الكتابة التاريخية بنداء الواجب الوطني الذي كان يؤرقه، وقد عبر عن تلك النزعة بقوله: " فقد رأيت من العجز الشائن والعقوق لهذا الوطن العزيز، أن نتقاعس عن الإقدام على جمع تاريخه مهما كان عسرًا أو غامضًا أو نقف مكتوفي الأيدي تهيبًا وعجزًا دون أن نجدّ في تحصيله وجمعه ...فالضرورة لسد هذا الفراغ في التاريخ الحضرمي هي التي دعتني إلى تأليف هذا الكتاب".

ونعتقد أن الحامد تعمد عدم الإشارة من قريب أو من بعيد لمؤلف البكري (تاريخ حضرموت السياسي) حتى لا يظهر مؤلفه وكأنه رد فعل، بينما نجده في ثنايا صفحات كتابه يفرد فقرات يفند فيها بعض أطروحات المؤرخ البكري التي حركت المياه الراكدة وحفزت كما أسلفنا القول على الكتابة التاريخية بأساليب جديدة تجاوز البعض منها اللغة التاريخية الشعبية التي اتسمت بها بعض المؤلفات التاريخية الحضرمية.

ويبدو لنا أن (المؤرخ) صالح الحامد توقف في بعض صفحات كتابه عند محطات تاريخية وهو مقيد بمواقف مسبقة، لكنه حرص على تعزيز اجتهاداته بالأصول التاريخية، وبالقراءة المتأنية لأحداث التاريخ، وسواء قبلها الناس أو رفضوها فإنها في مضمونها من جهة تضع الكثير من التساؤلات التي تتناثر عادة في مظان كتب التاريخ الرصينة، ومن جهة أخرى تدفع بالدرس التاريخي العلمي الجاد لسبر الأغوار، وكشف الأسرار.

* * *

حضرموت بين الأباضية والمعتزلة

صدر مؤخرًا عن دار حضرموت للدراسات والنشر كتاب مهم بعنوان: (حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة العاشر والسابع عشر للميلاد بين الأباضية والمعتزلة-مشروع رؤية-) تأليف الأستاذ سالم فرج مفلح، وضح فيه المؤلف رؤيته العامة للكتاب بأنه يحاول تقديم مشروع رؤية تعالج بعضًا من العيوب الكثيرة التي يعانيها المكتوب عن تاريخ حضرموت الوسيط، وخلاصة ما أراد أن يقوله المؤلف هو أن الأوضاع المذهبية والعقائدية والسياسية في حضرموت في العصر الوسيط لم تكن سنية بل كانت بين الأباضية والاعتزال وظلت كذلك حتى العصر الحديث عندما ظهر على مسرح الأحداث فيها السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (بو طويرق).

ولأن المؤلف قدم رؤية مغايرة عما هو معروف ومكتوب ومتداول عن تاريخ حضرموت السياسي والمذهبي فقد أثرى هذا الطرح الكثير من الجدل والنقاش في الأوساط الثقافية المهتمة بتاريخ حضرموت، وتعددت الآراء والمواقف حوله، بين التعاطي المرن، والإعجاب المفرط، والرفض المطلق.

وما سأسجله هنا يدخل في باب التعاطي المرن مع هذا الكتاب المثير عن طريق ملاحظات عامة وعابرة دونتها في أثناء القراءة حاولت أن تكون بعيدة عن لغة الذم والمدح أو اقتناص الأخطاء.

* مجلة حضرموت، الصادرة عن دارحضرموت للدراسات والتوزيع والنشر، العدد(١) ٢٠٠٨م.

لقد انطلق المؤلف من منهجية واضحة وهو الشك تارة والرفض والتحييد تارة أخرى لأغلب ما وصلنا من الموروث الثقافي لفترة الدراسة المتناولة والتي تتعارض في أطروحتها مع الفرضيات المسبقة للمؤلف، ولكنه يعود إلى نصوص محددة لصالح مشروع بحثه، وقد وجد ضالته في نصوص أدبية يرى أنها أفلتت من يد الاغتيال. وواقع الحال أن المؤلف معذور بعض الشيء عندما لجأ إلى بعض النصوص الأدبية واجتهد في قراءتها وحاول استنطاقها لاستجلاء جانب من الحقيقة التاريخية الغائبة والمغيبة.

وفي اعتقادي أن الاستخلاصات التي خرج بها المؤلف لا تتحمل البناء المعرفي الكبير والجديد الذي حاول أن يبرزه في مشروع الرؤية. إن القراءة المجدية لأحداث التاريخ لا بد أن تكون متجددة ومتأنية لأن حقيقة الماضي لا تنكشف دفعة واحدة بل بدرجات ومراحل متتابعة وبوجوه جديدة ولكن يشترط عند القراءة المتجددة للتاريخ ومصادره الابتعاد قدر الإمكان عن هيمنة الفرضيات المسبقة ومنطق اقتناص السقطات.

والكتاب جمع بين محاولة تأكيد رؤية خاصة عند المؤلف ومشروع الرؤية، وكان في ظني قبل قراءتي للكتاب بأنني سوف أغرق في بحر من التساؤلات أو سأمتد مع خطوط عامة عبر قرون عديدة من تاريخ حضرموت الوسيط والحديث، وإذا بنا نوجه من البداية وعن دراية إلى ما أراد أن يؤكده المؤلف، واضعًا أمامنا مقدماته ودافعًا لنا بلطف إلى نتائجه. وفي اعتقادي أن المؤلف وعن وعي منه ترك للباحثين والمهتمين فضاءً واسعًا لاختيار تساؤلاتهم ورمي حجارتهم في المياه الراكدة حتى تتسع دوائر المعرفة وتحتوي التساؤلات.

ولا شك أن المؤلف كباحث موضوعي يتمنى ظهور الحقيقة التاريخية أو ما قرب إليها وإن بدت على عكس ما يرى، وإن كنت مع من تشكك في أكثر أطروحات المؤلف فإن هذا الشك أو الرفض يستوجب طرح الدليل العلمي المغاير، وهذا كما يبدو هدف معلن للمؤلف لاستدراج (الناس) نحو إعادة قراءة التاريخ وإن أمكن إعادة كتابته.

ومن الأمور التي لفتت النظر في الكتاب ذلك البعد المذهبي الطاغي للأحداث السياسية التي شهدتها حضرموت في فترة الدراسة(المشروع)، وقد صرح المؤلف في أكثر من موضع أن صراع القوى المتنافسة في حضرموت هو صراع مذهبي بغطاء سياسي وليس العكس، وهذا الطرح الصارم يجرد الأحداث التاريخية من كونها حركة بشرية تتأرجح فيها أولويات الصراع البشري وفقًا لمتغيرات المصالح وتنوع المؤثرات وتغير موازين القوى.

ومما يلفت النظر أيضًا في هذا الكتاب أن المؤلف رفض الرواية السائدة عن وجود التصوف في حضرموت قبل القرن العاشر الهجري، وميز بين الزهد، الذي كان سائدًا في حضرموت، والتصوف. وإذا كان تاريخ حضرموت إلى القرن الثامن الهجري يكتنفه الكثير من الغموض حسب اتفاق معظم المؤرخين فإن الفترة اللاحقة تمثل حالة انفراج نسبي، إذ يستطيع الباحث الصبور انتزاع مادته التاريخية من مصادر الموروث الديني والاجتماعي الحضرمي، هذا فضلًا عن المصادر اليمنية الأخرى التي تناولت أحداث اليمن بشكل عام، وهذا من شانه تصحيح بعض الآراء التي وردت في مشروع الرؤية. وعلى سبيل المثال يظهر ذلك واضحًا عند الانقسام الداخلي المذهبي المسيس بين أمراء السلطنة الكثيرية في بداية القرن الحادي عشر الهجري وتدخل الدولة القاسمية الزيدية

فيه. فبالعودة إلى المصادر القاسمية مثل (تحفة الأسماع والأبصار) للجرموزي و(طبق الحلوى) لابن الوزير، و(تاريخ اليمن) لحسام الدين الملقب أبو طالب لا نجد النفس المذهبي عند تناولهم للعلاقات القاسمية الكثيرية ونستنتج من هذه المصادر أن الصراع كان سياسيًا بأهداف متنوعة.

إن الهزة الفكرية التي تعمدها الأستاذ سالم فرج مفلح جديرة بالتأمل وإمعان الفكر وهي رؤية قد نختلف أو نتفق معها ولكنها في جوهرها دعوة صادقة تبحث عن حقائق التاريخ وتستفز الهمم والكتاب (المشروع) ككل المشاريع يحتاج إلى العمل المؤسسي والجهود المشتركة التكاملية المخلصة التي ترجع دائمًا إلى التراث تسبر غوره وتمتص رحيقه ليعاد إنشاؤه نورًا يضيء الطريق.

* * *

جمعية الحق

بين فكرة الشروع في التأليف التاريخي وعملية الكتابة التاريخية ذاتها لا بد من توافر حلقة ارتباط تعزز الفكرة وتعطي للكتابة مصداقية وهي ما تمثله الأصول التاريخية من وثائق ومخطوطات، وإذا عُدَّت الوثائق حجر الأساس في التأليف التاريخي إذ لا كتابة تاريخية – كما يقال – بدون وثائق تاريخية فإن هذه الوثائق إذا لم تسبقها فكرة سليمة، وتلحقها آليات قادرة على استنطاقها، وتحليلها، وربطها، ومقارنتها مع غيرها من المصادر والنصوص تظل مثل النجوم التي تكتسب نورها من ذاتها لكنها لا تبخل به على كل من اقترب منها، ودار في فلكها.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا لمؤلفه الصديق الباحث السيد علي بن أنيس الكاف يمكن أن يصنف ضمن المؤلفات التاريخية التي يغلب عليها الجانب التوثيقي الذي يُعنى بعرض الحقائق والمعلومات التاريخية كما وردت في النصوص، ولهذا فإن العلاقة بين كل عناصر التأليف تلازمية، وهذا النوع من التأليف يضع نفسه عن عمد في موقف الحياد عند التعاطي مع وقائع التاريخ وملابساته بعكس المؤرخ الذي يتداخل مع الأصول التاريخية. أما حياديته فيقررها القارئ الفطن، وتحكمها اعتبارات كثيرة منها مدى قدرته على القراءة السليمة للمصادر، وأمانته العلمية.

وهذا النهج في التأليف التاريخي ليس بالجديد على السيد علي بن أنيس الكاف فله عدد من المؤلفات التاريخية الزاخرة بالوثائق حد الكرم الحاتمي ينطلق في ذلك من رؤية

واعية، ومخلصة لخدمة تاريخ حضرموت وتراثها، ويرتبط المؤلف مع (أبطال) كتابه بوشائج من القربى، فهو ينتمي إلى الأسرة الكافية المشهورة التي لعبت دورًا بارزًا في تأسيس جمعية الحق، وربما تحيلنا هذه المبادرة وذلك النهج إلى مقاربة فكرة العطاء عند مؤلف الكتاب، وعند مؤسسي جمعية الحق، ومع تفهمنا لاختلاف نوع العطاء، ومساحة البذل لكن تظل رمزيته واحدة.

إن جمعية الحق في مدينة تريم كانت مبادرة إصلاحية وطنية أكثر منها فكرة سياسية، وذلك عندما تطلبت المرحلة التاريخية من أعيان المدينة مواجهة خيارين لا ثالث لهما: إما استمرار الفوضى، وإما المحافظة على شكل من التنظيم يحافظ على استقرار المجتمع، فاختار المصلحون من أهالي مدينة تريم الخيار الثاني وتحملوا عبء الإدارة المدنية للمدينة عندما عز على حكامها ضبط أمورها، وشتان بين تسلط السلطة، وسلطة المصلحين.

والكتاب يمثل إضاءة ضافية على الإشارات التاريخية عن جمعية الحق في المؤلفات التاريخية كما أنه إضافة علمية على ما كتبه الصديق الباحث هشام كرامة الرباكي في كتابه الذي حمل العنوان نفسه (جمعية الحق). وعلى أية حال فإن التأليف التاريخي - كما هو معروف- عملية تكاملية لكل مجتهد فيه نصيب، ثم إن المستفيد الأكبر هو علم التاريخ، وعشاق المعرفة التاريخية.

أيها الماضي ..وداعًا

صدر مؤخرًا كتاب جديد بعنوان: (أيها الماضي وداعًا.. ذكريات وخواطر) تأليف اللواء ركن خالد أبوبكر باراس، وهو كتاب في السيرة الذاتية، ولأن المؤلف من الشخصيات المعروفة بنشاطها السياسي على مستوى حضرموت والجنوب منذ ستينيات القرن الماضي، فقد تداخلت في ثنايا كتابه القصة الخاصة مع الشأن العام.

وكان عنوان الكتاب قد شغل حيزًا لافتًا في النقاشات التي دارت في مقر اتحاد الأدباء بالمكلا بحضور المؤلف، وتعددت الاجتهادات بين المؤيد والمعارض. ومع احترامنا للبواعث الخاصة في اختيارات المؤلف، فإن العنوان ابتعد عن مضمون الكتاب الذي هو في الأصل استدعاء مكثف للماضي ومحاولة لاستحضاره، ومعروف أن بين الماضي والحاضر وشائج متفاوتة المسافة لكنها ليست معزولة عن بعضها البعض ويبدو أن التجربة المريرة والمحزنة التي عاشها المؤلف هي الدافعة لاختيار هذا العنوان المثير للجدل.

قسم المؤلف الكتاب إلى جزأين؛ الجزء الأول استعرض فيه جانبًا من طفولته التي صقلتها المآسي على حد قوله في قرية (ودودة) والجزء الثاني تحدث فيه بمرارة عن بدايات الحكم الجمهوري في الجنوب إلى أحداث يناير ١٩٨٦م وتداعياتها وعنونه بـ:(إرهاب الدولة والانكسارات المحزنة). ومع ما في الجزء الأول من مادة توثيقية للحياة الاجتماعية

* مجلة شعاع الأمل، العدد (١٣٣)، مايو ٢٠١٣م.

في وادي حجر وعلى الخصوص قرية (ودودة) حيث مسقط رأس المؤلف ومرتع طفولته، فإن الجزء الثاني يعد الأكثر أهمية في نظرنا لكونه استعرض مرحلة تاريخية بالغة التأثير في واقع الناس وقتئذ، وما تزال تلقي بظلالها وأعبائها على حاضرهم ومستقبلهم.

إن الكتاب يسجل شهادة خالد باراس على عصره بحسب الأحداث التي شارك فيها، وكان (باراس) محقًا عندما كرر اعتذاره للقارئ لعدم تناوله وقائع تاريخية مهمة لم يكن طرفًا فيها أو شاهدًا عليها، فهو يدرك أن ما يكتبه لا يدخل في مجال الكتابة التاريخية المتخصصة، وإنما يروي سيرته الشخصية كما عاشها وتقلب فيها. وقد سبق(باراس) في منحى مشابه زميله الشيخ عبدالقادر باكثير عندما كتب مذكراته عن مرحلة النضال الوطني، ولا ريب أن ما سطره هؤلاء، وما سينشر من مذكرات وذكريات للمعاصرين لتلك المرحلة سيكون معينًا للباحثين عن الحقيقة،ورافدًا لأصحاب القراءات التاريخية التي تهدف إلى استلهام التاريخ ودراسته وأخذ العبر منه.

ولسنا هنا بصدد استعراض موضوعات الكتاب والقضايا الشائكة التي ذكرها والمآسي التي مربها المؤلف في طفولته، وإنما نهدف إلى ذكر بعض الانطباعات العابرة حول هذا الكتاب الذي تجاوز في بعض مضامينه قصة باراس (الواقعية) إلى (قصة النظام الثوري الذي حكم الجنوب. وقد ألمح المؤلف بأنه دخل لعبة السياسة والحكم بعد خروج الإنجليز بعقلية المناضل المثالي، وسلامة طوية ابن الريف لهذا اصطدم بتوجهات حادة الطرح، متطرفة المواقف، وربما كان ذلك من أهم أسباب متاعب (المناضل) باراس ومآسيه، ومن سار سيرته، وفي حقيقة الأمر كانت هي مأساة جيل

دفع الثمن غاليا، ففي تلك المرحلة، وفي خضم الحماس الثوري حكم الثوار بخبرة متواضعة وبروح غلبت فيها ذوات البعض منهم على المصلحة العامة، فصار ما صار.

والمؤلف ترك - بصراحته اللافتة - المجال واسعًا أمام القارئ لينتقد ما شاء له النقد أو ليتعاطف معه دون أن ينزه نفسه عن الأخطاء أو يزعم لنفسه بطولات، وهذا ما يساعد على تفهم ما يقوله، واحترام شهادته، ولكن سيظل الكتاب مجرد رواية بزاوية نظر واحدة، وللاقتراب أكثر من مشهد الأحداث لا بد أن تأخذ هذه الرواية دورتها المناسبة في الدرس والتمحيص والمقارنة، ودائمًا صفحات التاريخ المشرقة أو تلك المظلمة سيقول الناس فيها قولهم بما يستحقه المؤثرون في مجتمعهم طال الزمن أو قصر.

وقد كتب(المناضل) باراس كتابه بأسلوب سلس وشائق وعلى طريقة الشي بالشيء يذكر، وتعمد إلى أن تخرج (روايته) بمشاعره وأحاسيسه النابعة من أعماقه، والمعبرة عن شخصيته، لهذا ترك لقلمه العنان دون أن توقفه العناوين الفرعية وظهر وكأنه يحكي سيرته على سجيته أمام حشد من الناس في مجلس عام. (ولو) عُرِض الكتاب قبل طباعته على مختص في اللغة العربية للتدقيق لجنبه الكثير من الأخطاء الطباعية واللغوية التي مثلت في نظرنا نقطة ضعف الكتاب الرئيسة.

والكتاب عمومًا يستحق القراءة وصدر في توقيت مناسب وفي ظروف تبدو مشابهة، فما أحوج الناس للعبر، والتدبر، وللذكرى والتذكر، والذكرى دائمًا تنفع المؤمنين، وللغافلين منهم نقول: هل من مدّكر؟

تجربتي مع الصحافة

في علم التاريخ لا تموت الحوادث، ولا تنتهي صلاحية الكلمات. ربما تضيع مساحات من مضامينها لكن ما بقي منها يمثل أصولًا تاريخية تساعد المؤرخ في إعادة رسم صورة الأحداث أو تقريبها إلى القارئ، وإذا اعتنى عالم الآثار باستنطاق الملتقطات والنقوش وهو يبحث عن حقائق التاريخ، فإن مؤرخي العصور الوسطى يستندون إلى المخطوطات يغوصون في متونها للوصول إلى مرادهم، ويسعى المؤرخ المعاصر إلى الوثائق التاريخية المكتوبة التي تدخل فيها المراسلات الرسمية والاتفاقيات والمعاهدات والصحافة والدوريات والمنشورات والبيانات والخطابات. وتختلف كل هذه الوثائق من حيث أهميتها التاريخية ومدى دقة معلوماتها، والمؤرخ الرصين منوط به تمييز الغث من السمين بعد أن يقوم بتحليلها وفقًا للمناهج العلمية.

إن موضوع المقالات التي تضمنها هذا الكتاب أقرب إلى قضايا الحاضر، فما تزال شخوصه ومجرياته تتداخل وتمضي إلى تشكّلات قادمة، لكن أهميتها التاريخية لا ريب ستتأصل مع تقادم السنين، لاسيما عندما يكون المؤرخ الذي سيتصدى لها على مسافة محايدة من زمانها وموضوعها. ويعد إصدار هذه الكتاب في هذا التوقيت خطوة جريئة، وصائبة، ويمكن تصنيفه في باب المؤلفات الوثائقية الشاهدة على عصرها ،فالمؤلف كان معاصرًا لما دوّنه بحكم طبيعة الكتابة الصحفية، بل هو طرفٌ فاعلٌ بخاصة في مرحلة حكم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي كانت أقرب ما تكون إلى مرحلة التجربة

النظرية في الحكم منها إلى الدولة التي تهتم في أولويّاتها ببناء المؤسسات وتنمية المجتمع وازدهاره، ولهذا حشدت المقالات بالكلمات التعبويّة والدعائية لتأكيد سلامة النهج اليساري المتطرف لتلك الدولة التي انحازت إلى فئات تراتبية بعينها حمّلتها صفة طبقية في غير محلها، في مجتمع عانى أغلب سكانه من ظروف اقتصادية صعبة، ولهذا ظهر في تلك المرحلة المصطلح السبعيني : (أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة) ومن ثم في الوطن، وهو يندرج في الأطروحات الخاطئة التي قسمت المجتمع إلى مواطنين بدرجات، مرضي عنها ومغضوب عليها، فصنعت شرخًا عميقًا في النسيج الاجتماعي، وإن بدأ المجتمع من الناحية النظرية المؤسسية متماسكًا وآمنًا.

وصاحب هذه المقالات التي ضمّنها في هذا الكتاب الموسوم: (تجربتي مع الصحافة) هو شخصية وطنية اتخذ لنفسه منذ ريعان شبابه خط الحكم الثوري في الجنوب وصار مشاركًا في منظومته، وقراراته الثورية بما لها وعليها، وقد عبّرت هذه المقالات عن الموقف الرسمي، وعكست الإطار السياسي التنظيمي الذي ينتمي إليه، ولهذا غلبت على المقالات الحالة الرسمية أكثر منها الحالة الشخصية المستقلة لاسيما أن الصحافة في عهد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية غير حرة فلا صوت يعلو فوق صوت التنظيم السياسي والحزب الحاكم الوحيد. وحتى في عهد الجمهورية اليمنية مضت المقالات وفقًا للعلاقات بين شريكي الوحدة وهو غالبًا ما يكون في صف النظام السياسي الجنوبي. وسجل خط سير المقالات موقفًا مبدئيًا لصاحبها وذلك باحترامه لخياراته وتوجهاته وتمسكه بها، ولم نجد عنده ارتباكًا في المواقف أو تلونًا في الاتجاهات الفكرية

والسياسية والوطنية عندما صار التلون والنفاق سلعة مربحة في عهد ما بعد حكم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

واتسقت هذه المقالات مع واقعها، وتماهت مع شخصية كاتبها الإيجابية المتفاعلة مع القضايا الوطنية التي اتسم بها عصره. ثم إن المقالات غردت إلى ما وراء حدود وطنها واقتنعت في بداياتها بالنظرة الاشتراكية للعالم والصراع الطبقي ونادت بالأممية البروليتارية جنبًا إلى جنب مع دائرتها الصغرى، وهي دائرة الوحدة اليمنية التي كان الصوت الرسمي الجنوبي فيها الأكثر تشددًا في السعي لتحقيقها. ومع انتكاسة الوحدة وتحولها إلى احتلال داخلي تعاطفت المقالات مع قضايا الجنوب والظلم الذي وقع على أهله إلى أن وصلت إلى اللحظة الراهنة التي يسعى فيها الحضارمة لتوحيد كلمتهم، وهو ما يؤسس لخطاب المستقبل والدعوة إلى تأسيس البدايات السليمة، وتحديد الأولويات.

وقد أحسن الأستاذ صالح سعيد بامطرف صنعًا بتجميع مقالاته في هذا الكتاب بتنوع موضوعاتها وتعدد مراحلها - بصرف النظر عن اختلافنا أو اتفاقنا معها - قبل أن تطويها سنين النسيان والإهمال. وإذا اتسم البعض منها بالطابع الدعائي أو الانفعالي أو الخبري العابر فإنها رسمت معالم مرحلة تمتد لنصف قرن من الزمان، وركزت على منطقة ما تزال تموج بالصراعات والنزاعات، وقد تلازمت حركة صعود المقالات مع مراحل تشكل المؤلف من مرحلة الشباب واندفاعهم وأحيانًا شطحاتهم إلى مرحلة النضج، وهو ما نلاحظه من حرصه على نشر هذه المقالات التي تجاوز موضوع البعض منها قناعاته الحاضرة، مما يدل على إدراكه السليم لحيوية الكلمة المكتوبة، وأهمية نشرها، وإيداعها في ذمة التاريخ حيث لا تنتهي صلاحية الكلمات.

أوراق في تاريخ مدينة بروم

بروم مدينة سريرتها صافية كرمال سواحلها البيضاء، وهي مدينة محصنة في ذاتها، فتبدو للناظرين لؤلؤةً قابعةً في محارة محاطة بالجبال تمدها الأمواج بسبل الحياة، آناء الليل وأطرافَ النهار.

في كتب التاريخ القديمة لها حكايات كثيرة ارتبطت بقوارب الصيد ومراكب الغزاة وسفن الحجاج العابرين وعباري أهل الهند وعمان، كما ارتبطت بكرامات الصالحين ومهارات الصيادين، وتغنت بالأهازيج الجميلة المتناغمة مع زوامل القبائل. إنها مدينة تشكلت من صدف الخلجان، وعجنت بماء المحيط، وتأصلت بنفحات مدينة تريم، لكنها احتفظت بأسرارها في أعماق قبابها.

وبين مدينة بروم ومدينة المكلا علاقة تاريخية خاصة، فقد تبادلت المدينتان المنافع، حتى بعد أن تصدرت مدينة المكلا موانئ حضرموت ظلت بروم – وهي الشقيقة الأقدم – وفية لهذه العلاقة، فقد حافظت على ثوابت حق الجوار، واستمرت تؤدي دورها الطبيعي في احتواء السفن الشراعية، والبواخر، عندما تتجاذبها أمواج بحر المكلا في موسم الرياح الموسمية، وهي بهذه الميزة صارت ميناءً طبيعيًا مساندًا أو احتياطيًا لميناء المكلا، وزادت من أهميته، وساعدت على نموه واستمراريته.

من داخل هذه المدينة (المحارة) خرج أحد أبنائها العاشقين يبحث عنها في كتب الأسفار، وفي عيون الأخبار وحاول إزالة الغبار عن تاريخها، وزحزحة بعض غموضها في شق يحاكي في بعض معانيه شق بوابة بروم الشرقية (الشقين) الذي اشتهرت به، وارتبط اسمه بوليها الشيخ بامزاحم،. وإذا فتحت (شقين) بامزاحم الطريق أمام الناس للوصول إلى مدينته أو ساعدتهم في الخروج منها باتجاه الشرق، فإن شق الباحث طارق الموسطي في هذا الكتاب يفتح بروم نحو أبعاد موغلة في الزمن. ربما يكون زاده يسيرًا، لكن حسبه أنه حاول واجتهد، وصنع من (شقه) بساطًا من الأمل لأولئك الباحثين عن بروم التاريخ، وبروم الناس، وبروم البحر، وبروم الأولياء، وبروم المحارة التي تمدها الأمواج بسبل الحياة، آناء الليل وأطرافَ النهار.

* * *

المحتويات

هذا الكتاب

يتناول بالتحليل والدراسة نصوصًا مكتوبة نشرت أو صدرت في أزمنة مختلفة وقد وُفق المؤلف تمامًا، كما أرى، أولاً في اختيار فصول كتابه من بين كتاباته المتعددة، ثم في عملية ترتيبها وتوزيعها بوصفها فصولاً متتابعة ومترابطة ضمن كتاب واحد. وتشهد فصول الكتاب بمختلف مواضيعها علي الجهد الدؤوب الذي يقوم به الدكتور عبدالله الجعيدي في البحث والمتابعة والكتابة، مستغلًا نظرته المستقلة ومقدرته الكتابية الواضحة، بحيث يبدو وكأنه امتداد طبيعي وجيد لمن سبقه في الجيلين- على الأقل- الماضيين، من الكُتاب والمفكرين والصحفيين والمؤرخين الحضارمة، سواء الذين تركز الاهتمام عليهم في فصول الكتاب أو الذين جاء ذكرهم عرضًا في ثنايا الفصول: سعيد عوض باوزير، وحسين محمد البار، وأحمد عوض باوزير، وحامد أبوبكر المحضار، ومحمد عبدالقادر بامطرف، وصالح على الحامد، ومحمد بن هاشم، ومحمد أحمد الشاطري، وعبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، وغيرهم.

نجيب سعيد باوزير

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+





